سِيدِي عُمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير

تحرير
بلال محمد شلش

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الثامن

بدايتي مع القسام واعتقال جديد

بدايتي مع القسام واعتقال جديد

البحث من أجل عمل مقاوم:

تطوّر العمل المقاوم خلال هذه الفترة كثيراً، وظهر العمل العسكري بعد هذه السنين من الانتفاضة الشعبية، وكنت أبحث عن مصادر لدعم هذه المرحلة. وقد شغلت هذه الساحة عالمنا العربي والإسلامي، وكانت هماً من هموم الشيخ الشهيد عبد الله عزام، رحمه الله، والشيخ أحمد ياسين في السجن. وأما القائمون على العمل الإسلامي في الضفة الغربية، فقد كانوا غير مستعدين لتجربة مثل تجربة الشيخ أحمد ياسين من العمل العسكري وضاقت بي الحال، ومن حولي شبان ينتظرون إجابات، وجاءني شاب كان مع الشيخ عبد الله عزام، على جبهة خوست في أفغانستان، لكن ما في جعبته لا يشبع جائعاً ولا يروي ظمأ عطشان. ومن خلال علاقة أخويه طيبه مع الأخ معين شبيب، من برقة نابلس، وقد تخرج من جامعة بيرزيت وصاحب حضور ونشاط خلال الانتفاضة، اجتمعت وإياه على سطح بيتي ودار الحديث بيننا حول هذه الحالة، تبرع للذهاب إلى عمّان، وبمعرفة منه سيتدبر الأمر.

وانطلق معين إلى عمّان، ووصلت الرسالة إلى مَنْ يعنيه الأمر، وجاءنا رسول من الإخوة المتابعين والمهتمين بإنضاج التجربة، ونزل صاحبُنا على بيت والد أحمد عطون، وتناولنا طعام الغداء، ثمّ استأذنا، فذهبت بصاحبي إلى بيتي، وفي البيت دار الحديث عن المطلوب، وعن إمكانيات الدعم وعن صدق النوايا والجدية في هذا الأمر، لكن صاحبنا أكد جدية الأمر، وأن من وراء ذلك قرار استراتيجي.

لقد كنا على خوف من أن يكون وراء ذلك تخدير لهؤلاء الشبان، الذين فاض بهم الكيل، وأصبحوا لا يقبلون التعليل ولا التسويف. وطلبت مِنْ صاحبي أن يرافقنا في الحديث واللقاءات الأخ عادل عوض الله (أبو الفداء)، ويشهد على ما يدور بيننا ويحتاط لمطالبنا، ويساعد حضوره على استيعاب ما يدور بيننا، وكان ممن وقع عليه الاختيار وذكر اسمه في جلستنا لهذا الأمر، الأخ الحبيب الشيخ صالح العاروري. وقلت لصاحبي: اذهب إليه أنت في جامعة الخليل، حتى نتأكد أن المشروع جدّيّ، وذهب صاحبنا وثبت مع الأيام أن الأمر جدّ، وأن القرار أخذ طريقه إلى الميدان، ولا رجعة عن ذلك.

جاءني الأخ عادل مبدياً خوفه من أن يمنعني زواجي الثاني عن ميدان العمل، فطمأنته وقلت له: الآن ابتدأ المشوار، والآية من كتاب الله حاضرة في جوابها: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1] صدق الله العظيم، فارتاحت نفسه، وفرح للذي سمع.

وفي جلسة ثانية مع الرسول القادم من عمّان، حيث كنا ضيوفاً على الأخ عادل في بيته المقابل لمعسكر بيت إيل في مدينة البيرة، ونمنا ليلتها عنده في البيت. وفي صباح اليوم الثاني انطلقنا جميعاً إلى مدينة الناصرة، عند أخ من قرية الرينة، وطلبنا منه أن يتركنا وحدنا، وألا يأتينا إلا مع طعام الغداء في ساعة متأخرة، وكان لنا ذلك. واتفقنا على استراتيجية العمل، وعلى الدعم والتمويل، وحاجتنا إلى سيارة نقضي من خلالها حوائجنا وعملنا التنظيمي. فزودنا رسولنا بمبلغ وقدره عشرة آلاف دينار أردني (نحو 14 ألف دولار أمريكي)، واطمأنت نفوسنا للجدية التي راوحت مكانها كثيراً، ثمّ انطلقت إلى قيام الساعة إن شاء الله.

الوقوع في فخّ المخابرات:

قمنا بشراء سيارة، وكان عندي من قبل مجموعة مسدسات، بين يدي إخوة لا يعرف أحدهم عن الآخر، ومصدرها واحد. وجددت لصفقة أخرى تتميز عن سابقتها كمّاً وكيفاً، عن طريق صاحبنا البدوي سالم أبو جابر، فيها بنادق سريعة وقنابل يدوية ومادة تي أن تي T.N.T.

استلم الأَخَوان نبيل دعنا وشقيقي راضي أبو طير السلاح، وكنت معهما عند الاستلام، وانطلقا في طريق العودة إلى القدس، وإذا بحاجز عسكري إلى الجنوب من بيت لحم عند بوابة الخضر، فاستوقفنا الحاجز، وكنت من خلفهم في سيارة أخرى، وفتشت السيارة واعتقل من فيها، وجاء الدور على سيارتنا وأمرنا الجنود بالنزول منها، وجاءت سيارة عسكرية فحملتني إلى مقاطعة بيت لحم. أما صاحبي، فأطلق سراحه بعد تحقيق ميداني، وهو الأخ أنور دحدول من البيرة ويحمل جنسية أمريكية. هرول إلى أمي لتكون في صورة الحدث والاعتقال، فقالت له أمي بالعامية: "انفد بريشك"، والمكتوب ما منه مهروب.

[1] **القرآن الكريم**، سورة التوبة، آية 24.

بتاريخ 1992/3/3، الثامن من رمضان كان اعتقالنا، وسبقني إلى سجن الخليل الأخوان نبيل دعنا (أبو عبد الله)، وراضي أبو طير (أبو زيد)، ولحقت بهما مساء ذلك اليوم، وبدأ التحقيق معنا، وتبين لنا أننا وقعنا في فخّ المخابرات، وأن ما بُيّت لي هو القتل، لو كنت من تسلّم السلاح، فقد أعدوا لي قنبلة مفخخة، وقالوا للأخ أبي زيد: كانت هدية للشيخ، لكنه "ملص" كما قالوا، ويا ليتها كانت الشهادة.

وفي المناسبات التي كان صاحبنا البدوي سالم يتردد علينا، ومعه صاحبٌ له، قالت لي أمي، رحمها الله، وكانت صاحبة فراسة: أنا غير مرتاحة لهذه الزيارات، وقالت: يا أبا مصعب "نام على بطون الجبال، ولا تنام على بطون الرجال"، هذا من الأمثلة التي سمعتها من أمي، وصدق حدس أمي.

التحقيق في سجن الخليل:

كانت شبكتنا واسعة، وقاعدتنا التنظيمية عريضة في القدس والضفة الغربية، وكان للسجون دورٌ إيجابيٌّ في اختيار العناصر التي عندها قابلية للعمل العسكري. ولما ابتدأ التحقيق معي في سجن الخليل كان يدور عن السلاح ودوافع الشراء والاقتناء، فتحملت المسؤولية ليخرج الأخوان نبيل وراضي من هذه الورطة، والمحققون يعلمون أني أنا المعني في هذا الموضوع. وفعلاً خرج الأخوان من هذه الورطة، وانتهى التحقيق معهما ليبدأ معي، وبإجابة صريحة قلت لهم: جئت بهذا السلاح لحربكم، وأراني قائد التحقيق القنبلة التي أعدها لتتفجر بي.

كان التحقيق قاسياً، وبرودة الجو ورطوبة الزنازين، وجبال الخليل على الخصوص، قد نالت من عافيتنا كذلك، وأساليب التحقيق والشبح، وما علينا إلا ما يستر العورة في هذا الصقيع والجو البارد. كان يُضيق علينا الخناق من ناحية، ويُربط على قلوبنا من ناحية أخرى، فيتسع الأمل ويبدو أنّ للظلم نهاية، وأن الاحتلال ومؤسساته إلى زوال، لكن المحققين لا يكتفون بما حصَّلوا وبما بين أيديهم من معلومات، بل هم يطمعون بالنيل من المجاهد، وتحطيمه وقتل ما بداخله.

ثلاثة أشهر ما بين الخليل وبتاح تكفا، وقد دخل شباب يافا على الخط، بعدما تبين أن مسدساً كان لشخصية صهيونية اعتبارية من سكان تل أبيب، ومن قريب فقده وقد سُرِقَ وبيع. فقالوا: من أين مصدر هذا المسدس؟ مَنْ الذي أعطاك إياه —وقد حصلت

عليه من الشهيد علي ريحان—، فقلت لهم: هذا من خميس عاشور [قتل غدراً في يافا]، قالوا: أعطاك إياه من القبر، فقلت لهم: هذا ما عندي. وحاولوا ابتزازي واستفزازي بكل ما أوتوا من أساليب المكر والالتفاف، أن أُقرَّ لهم بأن مصدر المسدس غير خميس، فقلت هذا ما عندي حتى النهاية. وعن طريق هذه المسدسات، وعن طريق سالم أبو جابر، اعتقل بقية الإخوة من المجموعة، وهم المجاهد عادل عوض الله، وسلمان أبو عيد، ومازن الحجة، وإبراهيم الحزيبي؛ لأن المسدسات وزّعت عليهم، وأتى سالم أبو جابر على كل هذه الصفقة، وما أبقى على شيء، فاعترفت بأن المسدسات موجودة عند من ذكرت. واعتقل الإخوة جميعاً، إلا إبراهيم اعتقل على قضية أخرى، وهي محاولة اغتيال جاسوس، ومشاركة مع خليل أبو هنية في قتل السمسار موسى الرطاسي بالمسدس الذي أعطيته إياه، واعترف أنه ألقى بقنابل على حافلات للمستوطنين... واعترف سلمان ومازن على مسدسيهما، أما عادل، فقد صبر على هذه القسوة، ولم يسلم مسدسه، وأوذي كثيراً، وذهب بعدها للإداري، وبقي مسدسي عندي دون علمهم ودون الاعتراف عليه.

كان تنظيمنا قوياً، وكان هؤلاء الإخوة راضي وإبراهيم الحزيبي، يعملون في ورشة عمل واحدة، وسلمان صهر لنا وزوج أختي، ولا أحد منهم يدري عن تنظيم الآخر.

وفي زنازين التحقيق في سجن الخليل كان سجان درزي اسمه عصام يعلو صوته بالشتيمة والسباب على مَنْ في الزنازين من المعتقلين، وفي جلسة تحقيق قلت للمحقق: إذا لم يتوقف هذا السجان عن الشتيمة والسباب، فسأجعل من الزنازين ثورة عليه، بل والرد عليه بالضرب، فقال المحقق: يا شيخ، هذا وأمثاله، لولا هذا العمل لرأيتهم في الشوارع يتسكعون، ثمّ أحضروه عندهم وحذروه من لسانه، فرجع إلى الزنازين يقول لسجان آخر، مالي وللشيخ، أنا لم آت به.

وفي زنازين التحقيق، سمعت الناس يكبرون في ساحة السجن، وبعد حين، علمت أن أبا عمار سقطت به طائرته في الصحراء الليبية، ثمّ نجا عن طريق الأقمار الصناعية التي دلّت على مكان طائرته في الصحراء.

الحياة في سجن الخليل:

وفي سجن الخليل، التقيت شاباً من الجبهة الشعبية اسمه نايف عاصي من بيت لقيا، وبعد حديث دار بيننا قرر أنه إنْ خرج من هنا ووصل إلى المعتقل، فسيكون مع حماس ويلحق بركبها، ومضى على ما اتفقنا عليه، والتزم معنا إلى يومنا هذا.

وبعد أن انتهت فترة التحقيق، وقد استمرت ثلاثة أشهر، نزلت إلى سجن الخليل، وهو قائم على نسيج فصائلي، تقوده فتح، والفصائل الأخرى "شاهدة زور" على سياسة فتح في تلك الفترة في السجن، التي تتعامل مع حماس والجهاد الإسلامي كغرباء، بل إنها الخصمُ والحكمُ تجاه حماس.

استقبلني السجن، ونزلت على غرفة رقم 1 في قسم (هـ)، حيث شباب حماس، وفيها من الإخوة جلال البراغيت من بيت أمر، وإسماعيل السويطي من بيت عوا، ومحمد البطران من إذنا، وآخرون منهم الأخ يوسف كفاية ونبيل دعنا وأخي راضي، وأبو سلامة العبيات ومازن الحجة وسلمان أبو عيد وإبراهيم الحزيبي. ولأن هذه الغرفة مرّ عليها في السكن والعيش عشرة صاروا من الشهداء، وهم: عبد المنعم أبو حميد[2]، وإسلام أبو ارميلة[3]، وعمر سعادة[4]، ومحيي الدين الشريف، وعبد الصمد حريزات[5]، وعادل عوض الله،

---

[2] **عبد المنعم محمد أبو حميد (1970–1994):** ولد في مخيم الأمعري لعائلة مهجرة من بلدة السوافير الشمالية. اعتقل سنة 1987. نشط في صفوف الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت. نشط في كتائب القسام، ولقب بـ"صائد الشاباك" لتنفيذه عملية نوعية استهدفت اغتيال أحد قادة جهاز الشاباك Israel Security Agency—ISA Shabak)) الصهيوني في 1994/2/13. استشهد بصحبة زهير فراح في 1994/5/31 بعد أن هاجمتهم قوة صهيونية خاصة في بلدة الرام.

[3] **إسلام فوزي أبو ارميله (1965–1994):** شهيد مقدسي لعائلة أصولها خليلية من سكان العيزرية. تزوج من شقيقة الشهيد جهاد فايز غلمة وله ولدين وبنتين. اعتقل مرتين في سجون الاحتلال، نشط في كتائب القسام وأسهم في نقل السلاح والمطاردين بين مدن الضفة وقراها وقطاع غزة. استشهد على حاجز إيريز Erez الصهيوني شمال قطاع غزة، بعد اشتباك مسلح بصحبة الشهيد إبراهيم سلامة من خانيونس في 1994/3/7.

[4] **عمر أحمد سعادة (1956–2001):** ولد في بيت لحم، متزوج وله 11 ابناً. التزم في صفوف جماعة الإخوان المسلمين مبكراً، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. من مؤسسي كتائب القسام في جنوب الضفة الغربية وقاد مجموعة أدمت الاحتلال بعدد من العمليات النوعية حتى سنة 1992. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية مرتين لمسؤوليته في كتائب القسام، حيث كان أحد أكبر قادة المجموعات التي تشكلت بقيادة الشهيد عادل عوض الله. أعاد تأسيس كتائب القسام في منطقة بيت لحم بعد خروجه من سجون السلطة إثر اندلاع انتفاضة الأقصى. اغتيل في 2001/7/17 ومساعده طه عروج، وعدد من أقاربه بقصف من طائرة صهيونية.

[5] **عبد الصمد سلمان حريزات (...–1995):** من مواليد بلدة يطا قضاء الخليل. نشط في صفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في أثناء الانتفاضة واعتقل إثر ذلك. أسهم في إيواء مطاردي كتائب القسام وعلى رأسهم الشهيد عماد عقل والشهيد محمد عزيز. اعتقل في 1995/4/21 واستشهد بعد تعرضه للتعذيب بالهز في "مركز المسكوبية للتحقيق" يوم 25 نيسان/ أبريل.

وأمجد شبانة[6]، وبسام مسالمة، والشيخ عبد الله القواسمي (أبو أيمن)[7] وجاد الله شوكة[8]. فقد كانت هذه الغرفة حبيبة إلى قلبي، وقد حلّ بها من قبلي، الإخوة الشيخ فتحي عمرو رحمه الله، والشيخ نايف الرجوب، والشيخ حسن يوسف، والأستاذ علي أبو راس.

ومن مكر التنظيمات، وفتح هي من تمسك بزمام الأمور، أعطت إخواننا الذين بدأت طلائعهم تفد إلى سجن الخليل... أعطتهم هذه الغرفة؛ لأنها كانت سكناً للجواسيس، وحتى يشار إليها بغرفة "العصافير"[9]، في تعبئة لعناصرها وعملية شحن قائمة على الكراهية ضدّ حماس وعناصرها. وكان محجوراً على حماس أن تمتد من هذه الغرفة إلى غرف أخرى، إلا تحت الضغط، وتمّ اتفاق مع إدارة السجن تقوده فتح، ألا يزيد حضور حماس على 90 حمساوياً من بين 500 عنصر، هم مجموع ما في السجن، والغالبية فيهم لفتح. وحصلنا فيما بعد على غرفة أخرى، وفي قسم آخر حصلنا على غرفتين. ومع إفراجات أوسلو التي استثنيت حماس والجهاد الإسلامي منها، وشملت فقط فصائل منظمة التحرير، بدأ حضورنا يزداد مع كل يوم، وليس بإمكان الفصائل أن تحجم هذه الظاهرة، وقد كثرت في صفوف حماس الاعتقالات من شمال الضفة إلى جنوبها، بسبب النهج الذي اتخذته حماس في المقاومة ومعارضة أوسلو.

---

[6] **أمجد سليم شبانة (1974–1994)**: من مواليد مدينة الخليل. نشط في كتائب القسام ضمن "مجموعة شهداء الأقصى". اعتقل لنشاطه العسكري، وفرّ من سجن الظاهرية والشهيدان طاهر قفيشة وجهاد غلمة. استشهد والقساميون أمجد أبو خلف، ومحمد صالح كميل، وفريد الجعبة، بعد معركة طويلة قصف في نهايتها البيت الذي تحصنوا فيه في وادي أبو كتيلة في مدينة الخليل يوم 1994/1/14.

[7] **عبد الله عبد القادر القواسمي (1960–2003)**: ولد في مدينة الخليل. متزوج وله ستة من الأبناء والبنات. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال، وأبعد إلى مرج الزهور سنة 1992، واعتقل في سجون السلطة الفلسطينية. بعد الإفراج عنه إثر اندلاع انتفاضة الأقصى، أسهم في إعادة تأسيس وقيادة كتائب القسام في منطقة جنوب الضفة الغربية. وبعد رحلة مطاردة طويلة نفذ فيها تلاميذه وأبناء مجموعاته عدداً كبيراً من العمليات ضدّ الصهاينة. اغتالته وحدة صهيونية خاصة أمام مسجد الأنصار في 2003/6/21.

[8] **جاد الله موسى شوكة (1969–2002)**: ولد في بيت لحم، متزوج وله أربعة أولاد. اعتقل في سجون الاحتلال الصهيوني سنة 1992، لنشاطه في صفوف حركة حماس. من نشطاء كتائب القسام الأوائل. أسس وقاد مجموعة "عشاق الشهادة"؛ أسهمت المجموعة في التصدي للاجتياح الصهيوني لبيت لحم سنة 2002 ونفذت عدداً من العمليات. استشهد بعد مطاردة طويلة حيث حوصر ومجموعة من المطاردين من قبل قوات الاحتلال فاشتبكوا معها حتى الشهادة.

[9] العَصافير: مفردها عصفور، اسم يطلق على الأسرى العملاء للاحتلال، ويقال من سقط في وحل العمالة وهو في السجن "عَصْفَر"، ومنذ سنوات يخصص لهؤلاء العملاء غرف خاصة بهم في معتقلات التحقيق، تحت إشراف المخابرات التي تستخدمهم لإجبار الأسرى على الإدلاء باعترافات من خلال ادعائهم بأنهم مقاومين واستدراجهم للحديث. كما يتم زرع بعضهم في غرف الأسرى للتجسس عليهم لصالح إدارة السجن ومخابراته. ويشير الشيخ أبو طير، في بعض المواضع، إلى الشخوص ذاتها بلفظ "خربان". [المحرر]

ومع أيام الإفراجات سنة 1993 لم يبق من فتح والفصائل كلها في سجن الخليل إلا أربعون فرداً، والإخوة في الجهاد أربعين كذلك، والبقية من المحسوبين على حماس، وقد جاءت الفرصة لنستلم التمثيل الاعتقالي في السجن. فجاءت رسالة من تنظيم فتح في سجن عسقلان، يلومون على من تبقى من فتح، إلى حدّ التوبيخ: كيف تقبلون على أنفسكم أن يذهب التمثيل الاعتقالي إلى حماس؟ كيف تسلّمون بذلك؟ جاء ذلك في رسالة وصلتنا عن طريق الخطأ وقرأناها، ومُوَقَّعَة من "س. أبو ص." الناطق باسم الفصائل في عسقلان، ومن أعضاء اللجنة المركزية عندهم، وكأنّ الأمور بيد أبي ص.، أو حتى من تبقى من فتح في سجن الخليل. فالعرف الاعتقالي يقتضي أن التنظيم الأكثر حضوراً وأفراداً، هو صاحب التمثيل، ومعظم مرافق العمل تكون بإمرته، من مطبخ ومغسلة ومكتبة وعمال في الأقسام، وفق مبدأ التمثيل النسبي.

في البداية، حتى ونحن الأكثرية، آثرنا أن يبقى الناطق باسم المعتقلين أو الممثل للمعتقل من فتح، وسرنا على ذلك لفترة من الزمن، لكن بعد حين، حسمنا الموقف لصالحنا؛ ولأن الناطق الفتحاوي لا يعمل على الأقل بسياستنا كمجموع اعتقالي، وسجن الخليل هو أول سجن استلمته حماس بعد هذا الصراع المرير. ويشهد الله، أننا تعاملنا معهم، لا كما تعاملوا معنا، تعاملنا من منطلق ديننا، ومن حرصنا على الوحدة الوطنية، وأذكر أنه كان عنصران لتنظيم أبي موسى (فتح الانتفاضة) في سجن الخليل، لم تسمح فتح لعامل منهما أن يخرج للعمل في مرافق السجن، بينما لما استلمنا نحن أخذا الفرصة في العمل، ولم نحجر على أحد. وعلى صعيد المكتبة، كان لها أربعة عمال، واثنان منهما للتنظيم الأكبر، تنازلنا عن عامل لصالح تنظيم آخر، حتى لا نشعرهم بالتسلط كما اتهمونا فيما بعد.

ومن الأسباب الأخرى التي جعلتنا نصبر على حقنا في التمثيل، أنّ إدارة السجن كانت خائفة من سياستنا، فلما استلمنا تبددت مخاوفها، ووجدتنا أصحاب كلمة، وأننا نحترم عهودنا، وأن تربيتنا لا تقوم على الالتفاف، وإنما على الضبط والربط. وكنت أفتعل المشكلة، حتى أُحْرِج ضابط أمن السجن، وأجعله عاجزاً عن الحل، فيقول المدير: اذهبوا للشيخ فالحل عنده.

إن فتح بمشكلاتها الداخلية، أعطت إدارة السجن مجالاً في كل مكان أن تلعب على التناقضات عندها. وغالباً كان ممثل المعتقل يُجيِّر السجن، ويرهن المعتقلين لصالح

علاقته مع إدارة السجن، بل كانت لهم تجارة مع كانتينا السجن. فالمسؤول عن الكانتينا من الإدارة سجان صهيوني، واسمه مِنَشّيه، وباتفاق مع المسؤول المالي للتنظيم يتاجران على حساب الأسرى، فأبو ماهر في سجن عسقلان، وأبو ص.، ومعهم كذلك شركاء، خرجوا برؤوس أموال من السجن. ورأيت بأم عيني السجان يلبس أساور من ذهب، سوى ما سمعت عن بيت فخم، بعد أن جاء من روسيا جائعاً؛ كل ذلك على حساب أموال الأسرى.

التفتيش ومشكلة الإكراه على التعري "العيروم":

ومع أننا سكتنا عن أن يكون التمثيل الاعتقالي من مسؤوليتنا، إلاّ أنّ مشكلةً حدثت مع عناصرنا في يوم محكمة لهم، وكان التمثيل مع فتح، وكان حضورها هو الغالب وقتذاك، وكان يجب أن يتحرك ممثل المعتقل إزاء هذه المشكلة، لكنه لم يفعل. وأُعلنت حالة الطوارئ في السجن، واعتدت الإدارة على عناصرنا، لأنهم رفضوا التعري للتفتيش، وكنا قد اتخذنا قراراً على صعيد التنظيم أنه ممنوع على عناصرنا أن يقبلوا التعري، ولو أدى إلى الصدام والضرب. وكان ذلك الرفض للتعري من عناصرنا، وحصلت المشكلة، وتأزم الموقف. والمدير القادم جديد على السجن، فطلبت من السجان أن يأتي بضابط العدد، ولكنه تأخر، وتضايقت فتح لأني اعتديت على صلاحياتها، فقلت: لماذا سكتم عن هذه المشكلة، ألأنها مع عناصرنا؟ أم هو العجز في مواجهة الإدارة؟ وما من مجيب. ثمّ جاء ضابط العدد، وما يزال السجن على حاله مغلقاً، ففتح لي الباب ونزلت إلى الإدارة، وإذا بضابط أمن الجنوب، ومدير السجن وضابط استعلاماته في انتظاري. فجلست، وقال لي ضابط أمن الجنوب، وهو أعلى رتبة من المدير: أنا عندي، مشيراً إلى الرتبة من على كتفيه، وهذا الجيش من السجانيين، فماذا عندك؟ فقلت له بثقة: أنا عنديَ الله، ومعيَ الله. فواللهِ لمّا سمع مني ذلك تراخى، وبدأ الحديث يأخذ طابعاً جديداً، وجميعهم يحاولون التعليل للتعري، وهذه قوانين سجن، ولا يجوز لأحد أن يتمرد على هذه القوانين. فقلت لهم: نحن متدينون، ولا يجوز في ديننا ولا في دينكم أن نتعرى، ولن يكون مقبولاً علينا. وفعلاً نجحنا في فرض هذه المعادلة. ووصلت الأخبار إلى سجن جنيد، وكان فيه الأخ قدورة فارس متحدثاً باسم السجن، وزارهم مدير مصلحة السجون، وطلبوا منه أن يعامل سجن جنيد كما يعامل سجن الخليل في التفتيش، فقال لهم مدير مصلحة السجون: سجن الخليل لا يقاس على بقية السجون. وانتهت المشكلة التي

ذكرت باحترام خصوصياتنا، وكان فيها عبد الصمد حريزات، والذي استشهد صبراً في زنازين المسكوبية فيما بعد، وآثر الشهادة، ولا أنْ يُؤتى على إخوانه المطاردين من قبله.

كان من المسؤولين في السجن لفتح الإخوة: ناصر عمرو من دورا، وجهاد جرادات، وموسى جرادات من سعير، ومحمد البدوي من الظاهرية. ومن خلال هذا الحدث، فرضنا احترامنا على الكل: الإدارة والفصائل.

إضراب 1992:

لما دخلت على إخواني، وبعد قليل من الراحة، وقد نالت منّا الزنازين على صعيد الصحة والنظافة والملابس، وخلعت ما عليَّ من بقايا الزنازين من الثياب، تقدم إليّ الأخ والابن جلال البراغيت، وباسم إخوانه في التنظيم، أن أتولى الأمور، وأن أقعد للمشكلات على الصعيد الداخلي والخارجي. في الشأن الداخلي فيما يتعلق بحياة أبنائنا داخل السجن، من تربية وتعليم ورياضة. وأذكر أنني كنت بعد صلاة الصبح أجلس لموعظة، أو حديث، أو جلسة قرآنية، بعد جولة من الرياضة داخل الغرفة، حتى يتنشط الجميع ويستشعرون بالدفء؛ لأن سجن الخليل على جبل، وفي الصيف لا نستغني عن الغطاء بالحرامات، فكيف في الشتاء؟

أما في الشأن الخارجي، فنحن على جبهتين، الإدارة من جهة، وهي لا تطيق حالة الاستقرار في السجن، وممنوع على السجين أن يستقر. وأذكر في الأيام الأولى من السجن سنة 1975، وقبله كان محظوراً علينا النوم بعد عدد الصباح في الساعة السادسة صباحاً، بل المطلوب منا ترتيب فُرُشِنَا؛ فعليك أن ترتب بطاطينك بطريقة عسكرية، وملعقتك وكأسك وصحنك تأخذ مكانها بشكل مُنسَّق على الفراش... وكم من جولات غاز تعرض لها الأسرى في جميع السجون ليكسروا هذه الإجراءات الصارمة؟ وكم من اعتداءات بالضرب تعرض لها المساجين حتى تنتهي مثل هذه الاستفزازات؟ كل ذلك ليقاوموا هذه الممارسات، ولتنثني الإدارة عن افتعال هذه الأزمات.

وأما من الجهة الثانية، فسياسة الفصائل العدائية نحونا، فهم والله يتمنون أن تنشق الأرض وتبتلعنا. وربما مع الزمن تراخت هذه السياسة، وبعد أن جمعتنا معركة الأمعاء الخاوية. قلت من قبل: أنَّ الأخ جلال عرض عليَّ أن أتولى مسؤولية التنظيم، فرفضت ذلك بشدة، وقلت له: اتركوني وشأني، فأنتم فيكم البركة. فما كان منهم إلا الإصرار،

وقلت كلمة صعبة مشفوعة بالقسم: إذا كنت أحب الفاحشة لأهلي، أحب عمل التنظيم؛ لأن العمل التنظيمي يقسي القلب، ولا يترك لك صاحباً.

كانت في سجن الخليل سياسة خاطئة، وكذلك في السجون الأخرى، تقوم على حرمان الأهل من الزيارة بقرار من التنظيمات، بل ويعاقبون أنفسهم، وكأنهم يعاقبون أهاليهم؟ ولا أدري كيف يفكرون؟ لقد كانت السجون تضرب عن زيارات الأهل، مع أن الأهالي كانوا يبذلون جهداً مضنياً لزيارة أقاربهم... فكم من والد يتوق لرؤية ولده، وخاصة إنْ كان شيخاً كبيراً؟ وكم من أم تتلوى من أجل رؤية ولدها، وفلذة كبدها؟ وكم من زوجة وأخت وولد وابنة ينتظرون هذه الزيارة؟ فقلت لهم وأنا في سجن الخليل: اضربوا عن كل شيء إلا زيارات الأهل؛ لتلك الأسباب التي ذكرت، ولأن السجين بالنسبة لأهله يملك أن يساعد في حلّ مشكلاتهم ومتابعة أبنائه وإخوانه، ولسبب آخر، فإن الزيارة قبل دخول الهواتف المحمولة كانت نافذة لنا مع الخارج، وخاصة مع الناشطين على صعيد العمل الأمني والعسكري. وكان الحديث يدور مع الأخ زياد الرجوب، مسؤول فتح يومها في سجن الخليل، واتفقنا على ذلك، إلى أن استلمنا نحن تمثيل السجن، وانتهت هذه الظاهرة، حتى إن الإدارة فيما بعد جعلت من منع الزيارة عقوبة ضدّ المعتقلين، فإذا ما أضربنا يوماً عن الطعام، فالإجراء العقابي من إدارة السجن هو منع الزيارة.

كانت السجون في معاشها تعاني نقصاً في احتياجاتها، وتتعرض لظلم من إدارات السجون، وكل سجن له سياسته. وكذلك كانت تعاني من الاكتظاظ في الغرف... فالحجرات لا تصلح للعيش، ولا تتسع إلا لستة أفراد، والإدارة قررت أن تكون لعشرة أفراد، والحجرات التي لا تصلح إلا لعشرة حشروا فيها عشرين فرداً. وسوء التغذية، الذي كانت تعاني منه بعض السجون، لا يعوضه إلا دعم الجمعيات الخيرية عن طريق الحاكم العسكري والإدارة المدنية، كما هي الحال في سجن الخليل. وكانت السجون في الصيف تحتاج إلى مراوح، ومواقد للطبيخ "بلاطات"، وإنارة جيدة للدراسة وأمورٍ أخرى. ما دفع بالسجون أن تنسق فيما بينها، وأن تدخل بتوقيت واحد في إضراب عن الطعام، لتحسين ظروف الحياة المعيشية، وأن تنتهي سياسة العزل التي تنتهجها مصلحة السجون، والشعار هو "نعم للجوع ولا للركوع".

استعدت السجون لهذه المعركة، وقامت بتعبئة الجدد من الأسرى، لأنهم جدد على التجربة، وكنت أقول لإخواننا: إنما هما يومان الأول والثاني، وبعدها تعتاد على الأمر،

وفعلاً ما هو إلا اليوم الأول وحالة صداع قوية تمتد إلى اليوم الثاني... ومع الماء، والماء ضروري، تذهب كل هذه الأعراض، حتى إن بعض المرضى تعافوا من قرحة المعدة. وأعرف أخاً لنا اسمه جميل أبو عيشة في إضراب سنة 1976 أضرب ثلاثين يوماً مع إخوانه، وكان قبل ذلك لا يستطيع أن يأكل شرحة من الشمام، أو البطيخ، وبعد الإضراب لا يأتي على شيء من الطيبات إلا أكله.

وابتدأت المعركة في صيف 1992، وبتجاوب الرأي العام مع الإضراب، وقام على خدمته إعلام موفق، نجحت السجون في تحقيق مطالبها، وخاصة أن مباحثات أوسلو على الطريق، وأن الاحتلال معنيّ بالتهدئة، وفي اليوم الخامس عشر توقف الإضراب، إلا في نفحة لثلاثة أيام أُخر، وحققوا زيادة على غيرهم. وانتهى العزل، وجاءت المروحة و"البلاطة"، وخفف من الاكتظاظ في الغرف، وقال رابين وقتها لمدير مصلحة السجون ديفيد ليفي David Levy، وكذلك لموشيه شاحال Moshe Shahal، اذهبا إلى نفحة، وأعطوهم ما يريدون. وهذا موقف يسجل لجميع الفصائل، ولجميع من أضرب عن الطعام، ومن لم يضرب من المرضى، لأنهم معذورون، ويسجل لحركتي حماس والجهاد الإسلامي على وجه الخصوص؛ لأن لهما حضوراً قوياً في هذه الميادين.

والإضراب معركة قاسية بين إرادتين، تستعمل كل إرادة إمكانياتها على توظيف هذه الإمكانيات في سبيل كسب المعركة؛ فإرادة الأسرى قائمة على الصبر وعلى العزيمة، وعلى هدوء الأعصاب وعلى النفس الطويل، وعلى الماء الذي هو ضروري أكثر من كل شيء، والذي يحافظ على الجسم من فقد المناعة، وعلى نجاعة الإعلام وتضامن الأهالي وجموع الشعب.

أما إرادة العدو، ممثلة في مصلحة السجون، فكانت تعتمد على الإعلام لتشويه الإضراب. فالإضراب بالنسبة للأسرى معركة إنسانية، لا يلجأ إليها السجين إلا عندما يستنفذ كل شيء، أما العدو، فيتهم الإضراب أن له طابعاً سياسياً، وهذا من كذب الاحتلال وافتراءاته، وله أساليب رخيصة، يحاول بها أن يفت في عضد المضربين، فيوقدون الجمر ويشوون اللحم تحت شبابيك الغرف حتى يثيروا شهية المضربين، وبحركات رخيصة يتناولون الطعام أمام المضربين، وينقلون المضربين وقادة الإضراب، من سجن إلى سجن، في عملية إرهاق مع ما يصاحبها من جوع وآلام.

والاحتلال يتفنن في أذى الناس، وفي قهر الأسرى، ويستغل حالاتهم الإنسانية، وهو من السفالة بمكان في استثمار هذه الأوضاع.

انتهى الإضراب وحقق نجاحاً متميزاً على صعيد السجون كلها، ودبت الحياة من جديد في عالم الأسرى، وشيئاً فشيئاً حتى خرجوا من هذه الحالة إلى وضعهم الطبيعي.

وقبل الإضراب، وبعد نزولي من زنازين التحقيق بأقل من شهرين، حضر إلينا من الزنازين الشيخ صالح العاروري، والإخوة موسى دودين[10] وهارون ناصر الدين[11]، والحاج ماجد الجعبة (أبو زيد)[12] فيما بعد، وموسى العواودة والشهيد عبد الله القواسمي. وكان لسجن الخليل حظّ وافر في استيعاب أبناء حماس، دون غيره من السجون، ثمّ انتقلت العدوى إلى السجون الأخرى. وكان ممن نزل عندنا من التحقيق، الدكتور محمود الرمحي (أبو محمد)، ومجموعة من نعلين، يقودها صلاح الخواجا ومعه شكري الخواجا (أبو ساجدة). وكان الأخ صلاح فاكهة عند الدكتور محمود الرمحي، والذي يتميز بالنكتة السريعة، والجو المرح الذي وجده عند جنون صلاح الخواجا، فلا تجد الدكتور أبا محمد، إلا ويدخل السرور على إخوانه، ويضفي على الأجواء الحياة الخالية من التعقيد. وصلاح مثَّل حالة من الجنون عجيبة، ونجح في التمويه على إدارة السجن، وعلى المحكمة العسكرية حتى يخفف من حكمه. وكان ببعض تصرفاته يمنع التجول في ساحة السجن، ومن ذلك أنه ضاقت به الحال مرّةً في قضاء حاجته، فقرع على الأبواب، واستنفرت الساحة حتى تفتح له الأبواب ليعود إلى غرفته، ويفتح له

---

[10] **موسى محمد دودين (1972–):** ولد في بلدة دورا قضاء الخليل، التحق بقسم الكيمياء في جامعة الخليل في سنة 1992، نشط في كتائب القسام في منطقة الخليل وزود "مجموعة شهداء الأقصى" بالسلاح. اعتقل من قبل الاحتلال الصهيوني في كانون الأول/ ديسمبر 1992، وحكم عليه بالسجن المؤبد؛ قضى منها ستّ سنوات في العزل. شارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن. استكمل تعليمه الجامعي في السجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطر.

[11] **هارون منصور ناصر الدين (1970–):** ولد في مدينة الخليل. درس في جامعة الخليل، والتحق في صفوف كتائب القسام "مجموعة شهداء الأقصى". نفذ عدد من العمليات أبرزها عملية الحرم الإبراهيمي في 1992/10/25 بصحبة الشهيد عماد عقل. اعتقل في 1992/12/5، وحكم عليه بالسجن المؤبد. استكمل تعليمه في السجن، وشارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

[12] **ماجد محمد الجعبة ([1969]–):** ولد في مدينة الخليل، متزوج وله طفلان. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني بدءاً من 1989/3/31، وأبعد إلى مرج الزهور سنة 1992. نشط في كتائب القسام. اعتقل اعتقاله التاسع في 1995/4/16، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. شارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

السجان بصحبة الناطق باسم القسم الأخ جويلس، وهو من فتح، ويصعد صلاح، والأخ جويلس إلى القسم، وفي أول القسم غرفة للسجان ومعه مفاتيح الغرف، ويهرول السجان الهندي، والأخ جويلس ليفتحا الغرفة للأخ صلاح المتأزم. فما كان من صلاح إلا أن وضعها في غرفة السجان؛ لقد تغوط في غرفة السجان ثمّ انطلق إلى غرفته وهم ينتظرونه على بابها، ولما فرغا ورجعا إلى غرفة السجان، وإذا بصلاح قد فعلها في ساحة الغرفة، وجنّ جنون جويلس والسجان لما رأوا الكارثة أمامهما. وعلى طريقة مكره أخاك لا بطل، قاما بتنظيف المكان. أما صلاح فله المواويل في الليل والنهار، و(أبو سلامة) محمد سلامة العبيات من بيت لحم يطرب على مواويل صلاح، والآن الأخ صلاح يقود الحملة ضدّ جدار العزل العنصري في نعلين.

الإبعاد إلى مرج الزهور:

كانت هناك مجموعة مميزة من القدس، بقيادة الأخ المجاهد محمود عيسى[13] من عناتا، والأخ ماجد أبو قطيش[14] من شعفاط، والأخ محمود عطون من صور باهر، والأخ موسى العكاري[15] من مخيم شعفاط. وكل عنصر من عناصرها قائد يتمتع بصفات القيادة، فالأخ موسى العكاري، ربيناه شبلاً في اعتقاله الأول في سجن عسقلان

---

[13] **محمود موسى عيسى (1968–):** أسير مقدسي من عناتا، حاصل على دبلوم مختبرات طبية، وقيادي في كتائب القسام وقائد الوحدة القسامية التي خطفت الجندي الصهيوني نسيم توليدانو Nissim Toledano في 1992/12/13 بهدف مبادلته بالشيخ أحمد ياسين. أسهم في عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني. اعتقل في 1993/6/3، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة مؤبدات و46 عاماً. أمضى مدة طويلة من سجنه في العزل، وأضيف إلى حكمه ستة أعوام كحكم جديد لمسؤوليته عن خلايا عسكرية لكتائب القسام وهو في السجن. انتخب لعضوية الهيئة القيادية العليا لأسرى حماس في السجون الصهيونية. له عدد من المؤلفات التي دونها في محبسه. انظر: محمود عيسى، **المقاومة بين النظرية والتطبيق** (رام الله: المركز الفلسطيني للإعلام، 2001)؛ ومحمود عيسى، **حكاية صابر** (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2012).

[14] **ماجد حسن أبو قطيش (1970–):** أسير مقدسي ولد في عناتا. نشط في كتائب القسام. أحد منفذي عملية خطف الجندي الصهيوني نسيم توليدانو في 1992/12/13 بهدف مبادلته بالشيخ أحمد ياسين. أسهم في عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني. اعتقل في 1993/6/6، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة مؤبدات وأربعين عاماً. انتخب في السجن لعضوية الهيئة القيادية العليا لأسرى حماس. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى قطر.

[15] **موسى محمد العكاري (1971–):** أسير مقدسي من مخيم شعفاط. نشط في كتائب القسام، وهو أحد منفذي عملية خطف الجندي الصهيوني نسيم توليدانو في 1992/12/13، بهدف مبادلته بالشيخ أحمد ياسين. أسهم في عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني. اعتقل في 1993/6/5، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، واستكمل تعليمه الجامعي في السجن. شغل عضوية مجلس الشورى العام لأسرى حركة حماس، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى تركيا.

سنة 1989، وأنا من درّب الأخ محمود عطون على السلاح، وأوصيته ألا ينفتح ومن معه على أحدٍ من الناس، مهما اقتضى الأمر. والأخوان محمود عيسى وماجد طالبان في المدرسة الشرعية وكلية الدعوة، وعندهما من الجرأة والمناعة ما يؤهلهما للقيادة. ومن أول عمليات هذه المجموعة أنها قامت بخطف الجندي الإسرائيلي نسيم توليدانو Nissim Toledano، لمبادلته بالشيخ أحمد ياسين، وسميت هذه العملية، "عملية الوفاء للشيخ أحمد ياسين".

خطفت المجموعة توليدانو، ووجدته سلطات الاحتلال مقتولاً فيما بعد، فاستنفر رابين، واستنفرت هيئة أركانه، وفي ليلة ظلماء ومع برد كانون [الأول/ ديسمبر 1992]، أقدم رابين وسلطات الاحتلال على إبعاد 415 من كوادر حماس والجهاد الإسلامي إلى مرج الزهور في الجنوب اللبناني، وفي ظنّ رابين وحكومته، أنهم قادرون على اجتثاث حماس والقضاء عليها. أما ما كان فهو العكس تماماً، وها هي حماس في طريقها للقضاء عليهم بعون الله، والله وليُّ ذلك والقادر عليه.

كان ممن أُبعد مِنْ عندنا مِنَ السجن الأخ الشهيد (أبو أيمن) عبد الله القواسمي، والأخ ماجد صقر، والأخ ماهر أبو كويك، وتفاعلنا مع الإبعاد وتابعنا أخبار الذين افترشوا الأرض، والتحفوا السماء بثلوجهما وصقيعهما. وصدق الله العظيم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[16]، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝١ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[17].

ويريد الله لهذه الحركة أن تتعاظم كما تنبأ لها المؤسس الشيخ أحمد ياسين، وأن تصبح في جنوب لبنان حديث الساعة، وأن يتعاطف معها الرأي العام العالمي، وأن تبيّض وجه القضية الفلسطينية، بعد أن لوثها بعض من كانوا قبل سنة 1982 في الجنوب اللبناني، وبعد أن اعتدوا على أعراض الناس وعلى زروعهم ومحاصيلهم، أيام العرقوب و"فتح لاند"، فجاء الإبعاد لإخواننا هؤلاء، من أجل أن يبينوا الوجه الحقيقي لفلسطين، وأن يعيدوا الثقة التي قتلها بعض الثوار أيام الثورة الفلسطينية، حتى قال فارس بويز، وزير خارجية لبنان وقتذاك: الجنوب ليس مكباً للنفايات، ثمّ اعتذر بعد ذلك لإخواننا.

[16] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 142.

[17] **القرآن الكريم**، سورة العنكبوت، آية 1–2.

وعاد المبعدون عودة مظفرة، ولما رجع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، وكان الناطق الرسمي للمبعدين، واستقبله على حاجز زمارية قائد المنطقة الشمالية، وقتذاك غابي أشكنازي Gabi Ashkenazi، وسأله: لماذا رجعت؟ فأجابه الدكتور: رجعت لأهدم أوسلو.

ويقول الشيخ الداعية راشد الغنوشي: كنا على استعداد أن ندفع مبلغ 30 ألف دولار، لنتحدث لخمس دقائق عن الإسلام، من خلال هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) BBC، ولا يقبلون... بينما حقق لنا الإبعاد الحديث عن الإسلام مجاناً، وفتح علينا الأبواب من كل صوب، وأصبح اهتمام الإعلام بحماس، تتناقله وسائل الإعلام يومياً.

قلعة خليل الرحمن:

قلعة خليل الرحمن اسم أطلقناه على سجن الخليل، تيمناً بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وهو أبو الأضياف، وكما هي الحال في باقي قلاع الأسر على أرض الوطن، الذي تقوم عليه دولة الظلم والاحتلال؛ فقد أطلقنا عليها أسماء حركية، فسجن عسقلان "عسقلان الرباط"، وسجن شطة "عين جالوت"، وسجن مجدو "حطين"، وما إلى ذلك، وبقية الفصائل لها مسميات أخرى، تتعلق بشهدائها.

أما هذه القلعة، فقد كانت منذ أيام الانتداب البريطاني مرتعاً للظلم، ومحطة من محطاته. وحتى لما رحل الانتداب البريطاني، لم ينته دور "العمارة" كما يسمونها، أو المقاطعة، عن ممارسة الظلم، والاعتداء على الإنسان وحقوقه، وبقيت ظلال الخوف والريبة تخيم على ذلك المكان.

وجاء الاحتلال الإسرائيلي، وأتى على ما تبقى من فلسطين التاريخية، وأتى على "العمارة" كما يقول عنها إخواننا من أهل الخليل، واتخذها مقراً لحكمه العسكري، وجعل منها مقراً للممارسات العدوانية. ومع الأيام ازدادت اعتداءاتهم، حتى حولوا المسجد الإبراهيمي إلى كنيس، وجعلوا من البلدة القديمة في الخليل بؤراً استيطانية، ومن شرقي الخليل وجنوبها قامت المستعمرات كذلك. أما "العمارة" فذات موقع استراتيجي، فهي تُطلُ على المدينة بكاملها، ويسمى موقعها قرن الثور، وهي مقر للحكم العسكري، وللإدارة المدنية، وللمخابرات الإسرائيلية، وللشرطة الإسرائيلية، وهي سجن ومركز تحقيق. وحظّ الشاباك فيها الأوفر، فجعلوا

من طابقين كبيرين فيها مكاتب للتحقيق وحُجر للمحققين، وزنازين وساحات للممارسات القمعية، وغرف عار يسكنها الجواسيس.

والمهم أن "العمارة" اسم يدل على الممارسات الخاطئة، وعلى الظلم والرعب، وعلى مكر الليل والنهار ضدّ إرادة هذا الشعب، ليمضي في حياته وهو يشعر بالملاحقة والخوف من المجهول... ويبقى الشعور بالهزيمة يدندن من حوله، وحتى عندما رحل جيش الاحتلال مع اتفاقية أوسلو، بقي على العملاء مهمات لا تقل عن دور جيش الاحتلال، فلو رحل الاحتلال حقاً فإن عملاءه لم يرحلوا، بل بقي وراءهم عملاء، يقومون على خدمة أسيادهم، ضمن حصانة مشروطة. ولما استلمت السلطة الفلسطينية المدينة و"العمارة"، ولتلك اللحظة كنت في سجن الخليل، أعادوا لها اسم المقاطعة، وأبقوا على سجنها، ومقرات الأجهزة الأمنية، بعد أن طمع الناس برحيل هذه الحقبة من الظلم. وإذا بالظلم يحن إلى جذوره، وله بقية وخلوف حَذَوْا على سنة مَنْ قبلهم، حذو النعل بالنعل، فدارت الدائرة من جديد على المجاهدين، وأُودعوا "العمارة" من جديد، لكن على يد مَنْ هذه المرة؟ على يد إخوانهم الفلسطينيين، ممن كانوا وإياهم في السجن نفسه يعانون من حَرِّ القيد.

فما انتهى الظلم برحيل الاحتلال، وما رحل حتى مارسه آخرون، انقلب عندهم شعور المظلوم فيهم، من ظالم لنفسه إلى ظالم لغيره. وبقيت "العمارة" رسماً وعلامة ودلالة على بيت الظالمين، إلى أن أصبحت خراباً وركاماً بعد أن نسفها الاحتلال بقيادة شاؤول موفاز Shaul Mofaz، بعد أن اجتاحها في الانتفاضة الثانية، وأعاد احتلال مدن الضفة الغربية، بل قل مناطق أ؛ لأن الضفة الغربية بالمدن والقرى والريف والحضر، لم يرحل عنها الاحتلال يوماً.

لقد رجع جيش الاحتلال إلى "العمارة" ليجعلها ركاماً، نسفها على بكرة أبيها وجعلها قاعاً صفصفاً، كأن لم تغْنَ بالأمس، وقد قُدر رُكامها على لسان أحد المقاولين بـ 400 سيارة شحن كبيرة.

والمهم مرة أخرى، أن "العمارة" كانت مرتعاً للعزة الكاذبة الباهتة، وحقلاً للتجربة الخاطئة، فكم من أصوات موجوعة مظلومة، كانت تصرخ وتجأر إلى الله من ظلم "الخربانين"؟ وكم من آهات تزلزل الجبال، وأنَّات توجع الأكباد؟ خرجت من زنازين "العمارة"، حتى تصدعت جدران الزنازين من الأنفاس المكلومة والنفوس المجروحة،

وزفرات يطغى ما فيها من ألم، على كل معاني الحياة، حتى لكأنها البراكين، فكم ضمت هذه الزنازين بين جدرانها، من أجساد طاهرة أكلت منها سياط الجلادين؟

سجن الخليل أو العمارة، له حكايته الطويلة مع ملاحم البطولة، التي خرجت فصولُها من خلال جدرانها، ومع كل إمكانيات الشاباك الإسرائيلي، فقد هزم رجالنا هذه المؤسسة، بصبرهم وثباتهم. فالشهيد القائد عادل عوض الله (أبو الفداء)، ضرب أروع الأمثلة في الثبات وهزمهم في عقر قياداتهم، وأذكر أني طلبت الدخول عليه لشدة ما هو فيه، فما وجدت منه إلا الصلابة، وأسمعته ما يعزز صموده بـ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[18]. وكذلك القائد القسامي موسى دودين، تلميذ الشيخ صالح العاروري، لسبعة أشهر وهو في زنازين التحقيق، ومن مركز إلى مركز، حتى تنقل بين الخليل والمسكوبية وبتاح تكفا والجلمة، وما نالوا من عزيمته. وشيخه الشيخ صالح هزمهم وأوجعهم، وصبر على المحنة والشبح والتحقيق، حتى خرج منها منتصراً. وأذكر أنه حدثني عن رؤيا رآها، وهو يعاني من الشبح وفي عزلة تامة إلا من الله، حدثني عنها لما نزل من التحقيق إلى السجن فقال:

> رأيت فيما يرى النائم، أني مشيت قاصداً غرفة فيها النبي محمد ﷺ وإذا بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقف بالباب، فاستأذنته بالدخول على النبي ﷺ، فقال الفاروق للشيخ: إن الرسول ﷺ يقول لك: ارجع إلى نوح عليه السلام وقل له: إن رسول الله يقول لك: جهز السفينة. ويقول الشيخ صالح: فرجعت إلى نوح عليه السلام وإذا به الشيخ أبو طير، في لحيته الحمراء المخضبة بالحناء. وقلت له: إن الرسول ﷺ يقول لك: جهز السفينة، فكان الجواب من الشيخ: أعلم ذلك يا بني.

وأذكر أنه حدثني بأخرى تخصه فقال إنه رأى رسول الله ﷺ يناوله السيف.

إن سجن الخليل في أيامه ما بين 1993–1996، شكل جامعة ومدرسة وتربية، وإعداداً لكل هذه المسميات. فمعظم كوادر الحركة في الضفة، كان لهم الدور الإيجابي في العطاء، وجمعتهم ساحات سجن الخليل. وقد اجتمع في قسم واحد أكثر من 40 من حملة الليسانس والماجستير والدكتوراه، منهم: المجاهد والقائد القسامي عباس السيد، والدكتور أيمن دراغمة، والدكتور محمود الرمحي، والشهيد عادل عوض الله، والشيخ

[18] **القرآن الكريم**، سورة إبراهيم، آية 27.

صالح العاروري، والأستاذ مصطفى أبو عرة، والأخ النائب رياض رداد (أبو أحمد)، والحبيب بشار الكرمي، ومن قبل سبقنا الشيخ فتحي عمرو، والشيخ نايف الرجوب، والأستاذ علي أبو راس، مدير المعهد العربي في أبو ديس، وأبو مصعب السويطي، والشهيد بسام مسالمة، والشيخ حسن يوسف ويوسف كفاية...

وكنت طوال هذه الفترة والدَهم وشيخَهم... لا أميرهم، وقد وفقنا الله في هذه المرحلة، أن جنبنا الهوس الأمني الذي وقعت فيه المعتقلات. فتجربتنا والأخ نبيل دعنا من السنين الماضية، علمتنا ألا نقع فريسة لمخططات إدارة السجن والشاباك، فسَلِم سجن الخليل من الأزمات التي مرت بها السجون الأخرى.

كنت لما التقيت الشيخ صالح العاروري في سجن الخليل، وجاءني من رضي الله عنه خلال طلاّقة الباب، وسلّم عليَّ، وقلت له بعد هذه المحنة: أبشر بخمس سنوات قادمات، وإذا بالضفة والقطاع جيش لنا، قلت بهذه العبارة: إنْ هي إلا خمس سنوات، فكان حكمه كذلك فيما بعد خمس سنوات.

كان الشهيد عمر سعادة، والشيخ ماهر أبو كويك، وسلمان أبو عيد، ويجمعهم مصطلح الحيتان لكثرة ما يأكلون، ويقول الشهيد أبو أحمد سعادة: لا أدري ما رقم الصاروخ الذي هو مُعَدٌّ لي، وكان أنه استشهد والقائد الشهيد طه العروج[19] بصاروخين. كأنه كان يعلم، أو يقرأ ما ينتظره، وكانت أمي تذكره كثيراً وتحبه، لأنها كانت الرسولَ بيننا وبينه، رحمها الله.

وفي زنازين الخليل، استشهد سالم صافي من خرسة (دورا الخليل) قتلوه في التحقيق، واستطاع الأخ الشهيد شادي درويش أن يهرب من سجن الخليل، وهو قائد فتحاوي، وهرب القسامي جهاد حجة كذلك... وحدّث عن سجن الخليل ولا حرج.

إنها المعاناة، وإنها لذكريات موجعة، تطفح بالحسرة والألم، وتؤجج في النفس جمراً ولهيباً، لا يمكن أن ينطفئ ولو أتيت بمطر السماء. ما كان لها أن تنطفئ إلا أن يرحل الاحتلال، وتعلو راية التوحيد؛ لأن هذه الذكريات خبيئة في النفوس وحبيسة في

[19] **طه عيسى العروج (1966–2001):** ولد في قرية العروج بالقرب من بيت لحم، واعتقل في سجون الاحتلال عدة مرات لنشاطه في حركة حماس. طورد من قوات الاحتلال سنة 1997 لنشاطه في كتائب القسام، واغتيل في 2001/7/17 والشهيد عمر سعادة بقصف من طائرة صهيونية.

الصدور... وهيهات أن تخرج إلا مع النصر: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[20].

إنه سجن الخليل كما هو في ذاكرة المساجين، وكما هو في عُرْف المعتقلين، تتلاطم فيه الأفكار وتتزاحم فيه القوى، كلٌّ يدلي بدلوه، والاستقطاب سيد الموقف في السجن، وميدان التحدي، بالرغم من ضيق جدرانه، وبالرغم من الأسلاك الشائكة المضروبة من حوله، وبالرغم من سطوة السجان فهو ميدان للتفاعلات، وهو حقل للتربية. وبقدر ما هو محصور وضيق، بقدر ما للآمال فيه من رحاب واسعة، وللخيال فضاء خصيب. وبالرغم من القيد، فالإرادة هي صاحبة القرار، والمعاني في السجن تختلف من سجين لآخر، وكثيرٌ منهم مزاجيون، لكن أصحاب الاهتمامات الكبيرة لا تقبل الترخص.

الهروب من سجن الخليل:

الحديث عن محاولات الهرب في السجن يكثر بين المساجين، وخاصة أصحاب الأحكام العالية. فهو حديث النفوس، وهو بطانة الأسرار، حتى إذا ما خلا سجينان، أو لحق بهما ثالث، ترى العيون ترمقهم أو تتراقص من حولهم، ويتزاحم الظن بين المجموع أن خُلوتهم فيها تخطيط للهرب من السجن. ولا تستغرب، فإن العصافير خارج نوافذ السجن بزقزقتها، وحركاتها تستفزهم، وتداعب خواطرهم. وهذه الحالة تحتاج إلى السرية بالرغم من كثرة العيون، وتحتاج إلى إعداد وتخطيط، ويُنْتَقى المكان المناسب لهذا الأمر، وتؤخذ الاحتياطات حتى لا تتعثر العملية. وللتورية والتمويه دورهما، حتى يُعمَّى على إدارة السجن وعلى المساجين، وذات يوم خرج علينا الإخوة جميل مسك، وحسن العويوي، وسفيان جمجوم[21]، والمجاهد صالح الهريمي، وهو من أتى بالمناشير، خرجوا علينا بفكرة الهرب، وكانوا قد أعدوا لها، وأتوا بالإمكانيات

[20] **القرآن الكريم**، سورة الروم، آية 4–5.

[21] **سفيان هاشم جمجوم (1971–):** ولد في مدينة الخليل، واعتقل في 1989/3/6 لمشاركته في فعاليات حركة حماس في الانتفاضة الأولى. التحق في كلية الشريعة بجامعة الخليل، واعتقل للتحقيق مرة ثانية في 1991/10/23. أسس "مجموعة شهداء الأقصى" تحت قيادة الشهيد عماد عقل. اعتقل في 1992/12/15 ليحكم بالسجن 13 عاماً ونصف. خرج من السجن سنة 2006 وتزوج لكنه اعتقل مجدداً في 2007/5/23، ورزق بطفلته وهو في الأسر. خرج من السجن بعد 13 شهراً من الاعتقال الإداري، ورزق بطفلته الثانية لكنه سرعان ما اعتقل في 2010/9/17 ليحول من جديد للاعتقال الإداري.

والوسائل التي ستساعدهم في تجاوز التحديات من مناشير وما يلزم، واختاروا الغرفة المناسبة، ووضعوا خطة العمل والطريق إلى الخارج. ووقع الاختيار على غرفة 1 قسم (هـ)، وكان في الغرفة معهم، شيخٌ أمّي يُكنى أبا سلامة، محمد سلامة العبيات، تعمري من بيت لحم، وأظنه كان في الخمسين من عمره، وكان ذلك سنة 1994. وأبو سلامة هذا رجل فاضل وأحبه... وهو من الرجولة والصلابة بمكان، وكان يتغنى دائماً ببندقية إنجليزية يعشقها ويحبها، ويتوجع لاعتقالها معه، وقد أُحْضِرَت، واعْتُرِف عليها عن غير طريقه. وأبو سلامة رضي الله عنه كان يجلس إليَّ ويدور الحديث بيننا، وخاصة أنه لا يكتب ولا يقرأ، فما أثقل الزمن على مَنْ مثل أبي سلامة، فكنت أعطيه من وقتي ما يساعده على هذه المحنة، وكان يقول لي: بس معك يا أبا مصعب أعمل، ولا أعمل إلا معك. وقد قالها من قبل الشهيد عبد المنعم أبو حميد، في الغرفة نفسها، قالها لي: أنا لا أعترف بأمير عليَّ إلا أنت، رحمه الله.

أبو سلامة أخونا الفاضل، كان يسكن معنا في غرفة الهروب، والقائمون على أمر الهرب استثنوا أبا سلامة، للاعتبارات التي ذكرت. فمكروا مكراً، لكن مكرهم لم يفلح. أتوا بحبوب منومة ليلة الهروب، وقدموها له مع الشاي مرةً، ومع الماء مرةً، ومع العصير مرةً، ولكنه لم ينم، فكل ما فيه ظلّ مستيقظاً ومتحفزاً، وهيهات لجبال من النعاس أن تجعله ينام؟ فهذه فرصته. وعيناه ترقبان وأذناه تسمعان، وقد أصبح أقرب إلى الحرية منه إلى السجن، هيهات ثمّ ألف هيهات، فكل المنوّم ما نوّم أبا سلامة. فأبو سلامة يريد أن يهرب، يريد أن يصحبهم، وهو والله أهل لذلك، وأنا كلما تذكرت ذلك يغلبني الضحك من أمر أبي سلامة، الذي هجر النوم من أجل هذه اللحظة.

على كل حال، ففي اليوم الذي عزم الإخوة على الهرب فيه، جاءوني وتحدثوا إليَّ بالأمر لهرب آخر، ومن موقع آخر، فشأن غرفة 1 انتهى إلى الفشل. وبعد أن نجحوا في نشر شباك الغرفة اكتُشف أمرهم، كشفه سجان شكّ في الأمر، فتابع واتصل بإدارة السجن، وأُعْلِنت حالة الطوارئ، وتمت السيطرة على الوضع، وعُزل مَنْ عُزل، ونقل آخرون إلى سجون أخرى. وعملت إدارة السجن على تقوية وزيادة في حماية الشبابيك. وكان لهذا الفشل دواعيه، وهو اتساع دائرة المعارف، وفي العمل الأمني القاعدة تقول: المعرفة على قدر الحاجة.

وكان ممن سكن هذه الغرفة الشهيد أمجد شبانة، وجاء اسمه مِنْ قَبْلُ منقولاً إلى معتقل الظاهرية، وهناك خطط مع القائد القسامي جهاد غلمة[22]، ومعهم الشهيد أمجد أبو خلف، للهرب ونجحوا في ذلك وطاردوا العدو وطاردهم حتى استشهدوا، رحمهم الله.

إن هؤلاء الشبان كانوا يلتمسون لحظة ساخنة، ينالون فيها من عدوهم، ويوقعون به ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾[23].

الحديث عن أوسلو:

الحديث عن أوسلو مُرٌّ، وأَمَرُّ من العلقم؛ لأنه على غير إرادة الشعب الفلسطيني، وهو مشروع لا يمت إلى الوطنية بشيء، بل هو مشروع تصفية للقضية الفلسطينية، ولو لم يكن هكذا، ما قبلت به "إسرائيل". ولن تقبل "إسرائيل" بأي مشروع لا يكون تحت سيطرتها، أو تراه خطراً على أمنها، وإلا ما معنى أن تعترف المنظمة بـ"إسرائيل"، وأن تعترف "إسرائيل" بالمنظمة؟! وحتى مع اعتراف "إسرائيل" بالمنظمة، فهل قامت الدولة الفلسطينية؟ هذا كلام لا يُطعم خبزاً ولا يسقي ماءً، وضياع هذه السنين جاء على حساب القضية والشعب الفلسطيني.

كان مسار مدريد يمضي ضمن إطار دولي، ولما جاءت أوسلو كوليد غير شرعي، وتفاجأ العالم بإخراجه، أتى على محادثات مدريد فقتلها، وسكب عليها ماءً، وإن كانت كما قالت أمي، رحمها الله: "العبوا يا أولاد، واللعبة على أمكم". وغُيِّب الغطاء الدولي

---

[22] **جهاد فايز غلمة (1973–1995):** من مواليد الخليل وانضم مبكراً لصفوف جماعة الإخوان المسلمين. شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى واعتقل في سنة 1988 في سجون الاحتلال الصهيوني. انضمّ سنة 1991 إلى "مجموعة شهداء الأقصى" التابعة لكتائب القسام والتي كان قائدها الشهيد عماد عقل، واعتقل لذلك. فرّ من سجن الظاهرية بصحبة الشهيد أمجد شبانة والشهيد طاهر قفيشة. قاد الشهيد غلمة، نهاية سنة 1993، "وحدة الدفاع عن المدنيين الفلسطينيين" والتي عرفت لاحقاً بـ"وحدة الأهوال"، ونفذت هذه المجموعة العديد من العمليات التي أسفرت عن مقتل وإصابة عدد من جنود الاحتلال ومستوطنيه، وأبرز عملياتها إطلاق صاروخ على مبنى "الدبوية" ثم مبنى "الحاكم العسكري". استشهد "الجنرال" والقساميان عادل الفلاح وطارق النتشة على يد وحدات المستعربين الصهاينة في البلدة القديمة في مدينة الخليل يوم 1995/5/16.

طاهر شحدة قفيشة (1971–1995): ولد في مدينة الخليل، عمل على توفير الدعم اللوجيتسي لعدد من مطاردي كتائب القسام فكان ذلك سبباً لاعتقاله يوم 1992/1/11. فرّ من السجن بصحبة الشهيدين أمجد شبانة وجهاد غلمة يوم 1993/11/12. نشط في الكتائب "وحدة الأهوال" ولقب بالعقيد المرعب وشارك في عدد من عملياتها. استشهد في معركة طويلة بعد محاصرة الاحتلال لمنزل في مدينة الخليل وقتل فيها ضابط الوحدة المهاجمة، يوم 1995/6/29.

[23] **القرآن الكريم**، سورة التوبة، آية 120.

عن القضية الفلسطينية، واتفاق أوسلو من المستحيل أن يقوم على الأرض، لصالح الفلسطينيين أبداً، ولا يقوم على حلّ سياسي، وإنما هو مشروع أمني لخدمة الاحتلال، ومشروع اقتصادي لإلهاء الشعب الفلسطيني، وإغراقه بالمشاريع التي تلتف على قضيته الوطنية. وأوسلو هو من أجهض الانتفاضة المباركة الأولى، وجعل من العائدين بالرقم الوطني، مستثمرين على حساب الدماء والشهداء؛ بل شجعوا غيرهم من المناضلين، أن يحذوا حذوهم حتى استشرى الفساد والخراب.

أقول: إنما جاء أوسلو لإنقاذ حالة إسرائيلية، أربكتها الانتفاضة، ولإنقاذ معنويات جيشها الذي فقد هيبته العسكرية، وهو يطارد شعباً أعزلَ، وأطفالاً صغاراً.

وجاء أوسلو ليوقف الزحف الإسلامي، الذي تمكن من الساحة الفلسطينية، ولينقذ منظمة التحرير الفلسطينية، وينقذ حركة فتح تحديداً، من الغياب والانتهاء. ولقد جاء وفد من الخارجية الأمريكية سنة 1989، إلى الرئيس عرفات في تونس، وقالوا له: إما أنت وإما أصحاب اللحى. فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، استبدل أوسلو بخيار شعبهِ، وبمصير قضيته.

أذكر أنني خطبت الجمعة عن أوسلو، وقلت هذا مشروع وُلِد كسيحاً، وفصل من فصول المؤامرات على الشعب الفلسطيني، ومن قام عليه غيَّب شعباً كاملاً. وحتى من المنظمة نفسها، ومن فتح، كان لبعضهم موقف من هذا الاتفاق، وتحفظوا عليه، بل رفضوه. وقلت: إن الرئيس عرفات وعد الشعب الفلسطيني بأن يحرر فلسطين، من البحر إلى النهر، وقد تحقق وعده بمشروع غزة – أريحا أولاً وآخراً؛ لأن غزة على البحر، وأريحا على النهر، فجمع بين البحر والنهر... واكتفى!!. ثمّ تناولتُ الدور القذر الذي يمارسه الاحتلال، في إذلال هذا الشعب، وقلت: هل في العُربان مَنْ يعيد سيرة المعتمد بن عباد، لما قال: رَعيُ الجِمال أحبُ إليَّ من رعي الخنازير؟ وقلت: لما تنازلت منظمة التحرير عن خيار البندقية سقطت، وكل من يتنازل عن خيار البندقية فالسقوط هو مصيره ونهايته.

وجاءني غابزون مدير سجن الخليل، كان ذلك سنة 1994، وجلس عندي في الغرفة، وقال لي: أنت في خطبك تحرض علينا، فقلت له: لا، وإنما أتحدث من وحي هذا القرآن، وفي القرآن آيات يطول حديثُها عن بني إسرائيل.

وأعلق على الخراب الذي أحدثه أوسلو، فأقول: إنه ما استفحل الاستيطان إلا في ظلّ أوسلو، فأوسلو أعطى شرعية لكل الممارسات الإسرائيلية، ولولا أوسلو ما قام جدار الفصل العنصري، ولولا أوسلو ما عُزلت القدس عن الضفة الغربية، ولولا أوسلو ما أتى الاحتلال على المؤسسات الوطنية في القدس.

المحاكمة:

كانت الجلسة الأولى في محكمة الخليل العسكرية؛ لأن حيثياتها قائمة على تقديم لائحة اتهام، من النيابة أمام القضاء العسكري، وبحضور المحامي الأستاذ عبد المالك دهامشة، والذي أصبح فيما بعد عضواً ونائباً في الكنيست Knesset الإسرائيلي عن فلسطينيي الداخل، وطلبت لي النيابة بادئ الأمر أربع سنوات. ثمّ انتقل الملف إلى المحكمة العسكرية في رام الله، وانتقل الملف إلى المحامي جواد بولص، والذي هو تاجر أكثر منه محام، ولقد وصلته مني رسالةٌ شديدةُ اللهجة لأنه تاجر، وقلت: والله لأحرمنه النوم مع زوجته، فجاءني إلى سجن الخليل مهرولاً يتلطف، وصدر القرار بعد ثلاث جلسات انتهت بحكم ستّ سنوات[24].

من خلال المحكمة كنت أتردد على سجن رام الله، والذي أصبحت حماس تمثله من بعد سجن الخليل، ونجحت في إدارته. وقد انتقل إليه الإخوة عادل عوض الله والشيخ صالح العاروري، والدكتور محمود الرمحي والأخ نايف عاصي، والأخ الحبيب أبو الأمير أنس رصرص، والأخ المجاهد معز الدين الطويل.

وكان إخواني رضي الله عنهم يحتفون بي كثيراً، وكان هذا تفضلاً منهم وحسناً في أدبهم. وكان الشيخان صالح وعادل يشكلان الجناحين بالنسبة لي، وما بيننا من العاطفة، هيهات لأحد أن يلحق بما نحن فيه على أعنّة الخيل!! وإذا ما تأخرت الرسائل بيننا، فسرعان ما أكتب إليهما بتوقيع هذا نصه: أَمِنَ الوفاء هذا الجفاء يا أبا الفداء؟ وكان عادل صاحب قلم، إلى جانب رؤية ناضجة. وكان الشيخ صالح قارئاً للتاريخ ومتّقد الذكاء، وإن كان مزاجه حاداً، لكنه عملي وميداني، وإذا ما غضب فهو بركان، وأحسب أن غضبه لله أولاً ثمّ للمصلحة العامة، ولا ينتصر لنفسه، فرضي الله عنهما وأرضاهما.

[24] انظر تغطية صحفية لخبر المحكمة في: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (3)، صحيفة **صوت الحق والحرية**، العدد 1412/12/25هـ الموافق 1992/6/26م، ص 495.

العلاقات الداخلية في السجن:

السجين أياً كان، مِنَ العيب أن تقف ضدّه إلى جانب السجَّان، ليس من المروءة أن تستغلَّ حجمك وقوتك في كسر الآخرين. حصلت مشكلة عندنا، كان من أثارها أحد الإخوة من بيت لحم، وهو شاب جامعي، وحافظ للقرآن، ويريد أن يجعلها عصبية، يريد أن يمزق التنظيم بين رام الله، وبيت لحم والخليل وما إلى ذلك، فكان لنا منه موقف. ودخل على الخط أخٌ آخر، من قرى شمال القدس، ومحسوب على رام الله أكثر من القدس، واسمه رائد قاسم، كان للأخ رائد خطؤه، وأراد الدكتور محمود الرمحي أن يعاقبه عقوبة دون أن تحدد، فتكلم إليَّ الأخ الشهيد عادل عوض الله، سائلاً: أتريد أن تعاقبه كما يطلب الدكتور الرمحي؟ فأجبته قائلاً: لا، لن أكسر نفسية أخي، فطابت نفس عادل رحمه الله... ونعم، لن أكسر نفسية أخي.

وأذكر كذلك أنه في يوم وصلت الأنباء إلى رفاق الشعبية في سجن بئر السبع، وتحديداً إلى الرفيق مخلص برغال، بأن: حماس تفرض سياستها علينا، وتريد أن تفرض دينها علينا، وأن حقوقنا مهضومة عندها، حتى إنها بدلت سياسة المطبخ، وتريد أن تطعمنا على مزاجها، وأن نصوم معها يومي الإثنين والخميس. ولما قرأ الرفيق مخلص الرسالة، عرضها على الأخ توفيق أبو نعيم، ممثل حماس ووجْهُها أينما حلّ، وقال له: هكذا تتعامل حماس مع الرفاق، وعلى الخصوص الشيخ أبو طير؟! فقال له الأخ توفيق ناصحاً: ابعث برسالة للشيخ أبو طير، واستوضح منه الخبر، ولا أظن الشيخ ينتهج هذه السياسة. وفعلاً وصلتني رسالة من الرفيق مخلص، وأنا أكنّ له الاحترام، وهو صادق في وطنيته. ولما قرأتها، وإذا باتهامات باطلة، وتجنٍّ على الحقيقة، وما نقل عن الرفاق، ما هو إلا زور وبهتان وكذب وافتراء، ولم تكن هذه سياستنا أبداً، بل أنصفناهم أكثر مما أنصفتهم فتح في أيامها. وبعد أن قرأنا الرسالة في التنظيم، اجتمعت مع مسؤولي التنظيمات جميعاً، كذلك إخواننا في الجهاد الإسلامي، وقلت لهم: وصلتنا رسالة، وبعد قراءتها عليهم سألتهم: هل هذا صحيح، قالوا: لا، قلت: فمن بعث الرسالة ونقل هذه الصورة؟ قالت الديمقراطية: نحن بعثنا رسالة، لكن ليس بهذه الصورة. قلت لهم: دخل علينا رمضان، وقلنا لكم، انزلوا إلى المطبخ وقوموا على طعامكم؛ لأننا نصوم وأنتم لا تصومون، فرفضتم. والمتعارف عليه في السجون وحتى في أيام فتح، أن الطعام في رمضان يأتي على وجبتين؛ وجبة الصباح ووجبة المساء، وهكذا كان حالكم مع فتح على الدوام. والأمر الآخر، قلتم إننا نجبركم على صيام يومي الإثنين والخميس، فكيف؟ نحن نأتي بالدجاج

على حساب إخواننا في الخليل، هم يتبرعون لكل سجين بنصف دجاجة، ونحن نوزعها على الأيام، فيوم الجمعة يأتينا الدجاج من إدارة السجن، ونصف الدجاجة الآخر يوم الإثنين؛ لأننا نصوم، ويوم الخميس كذلك، ونحن نختار يوماً فاختاروا أنتم يوماً آخر.

أنتم أتيتم على الفول، وهو وجبة الصباح، ونحن صائمون وطرحتموه أرضاً في باحة "المردوان"، وحضر مدير السجن وشاهد ذلك، وقال: "كيف تتعاملون هكذا مع الطعام؟ نحن يهود ونحترم الطعام، ولا نسمح لأنفسنا بأن نلقيه هكذا". لكن الرفاق، مزاجهم غير نابع من الحلال والحرام، واحترام النعمة.

قلت لهم: أنتم حسب أعراف السجن، لا تستحقون عاملاً في المكتبة، ولا نسبتكم المئوية تسمح بذلك، وما تعاملنا معكم بحسب حجمكم، بل بالتوافق والتراضي، وعلى حسابنا، حتى لا نصل إلى هذه اللحظة وتقولون: ظلمونا، أنصفناكم عن قناعاتنا، وحتى نحافظ على الوحدة الوطنية. وانتهى الإشكال بحمد الله بالتسامح.

ومرة جاءتني رسالة من الأخ قدورة فارس، المدير التنفيذي لـ"نادي الأسير الفلسطيني"، وممثل المعتقلين في سجن جنيد في نابلس، يقول لي فيها: أتريد أن تقيم إمارة إسلامية في سجن الخليل؟ وذلك أنه وصلته أخبار حول مشكلة داخلية عندنا، ليس له فيها ناقة ولا جمل، فقلت: يا سبحان الله، الكل ينتظر عثرتنا، والإشكال مع أخ خرج من صفوفنا إلى الإخوة في الجهاد الإسلامي، ولا أظن أن أمه التي أرضعته، تحملته كما تحملناه. وعوقب على تصرفات لا تليق به، فأحدث جلبة في الساحة، ما جلب انتباه السجان، فأخذته إدارة السجن، ورمته في الزنازين. ولولا الله أولاً، ثمّ لولا طلبنا من مدير السجن أن يعود إلينا، وبكفالتنا، لعاش بقية مدة سجنه مع الجواسيس، أو في العزل الانفرادي. وبعد حين، قال لي الأخ أبو علي سلمة، المسؤول عن الجهاد حينها، من كثرة ما غلَّبَهُم: يا ليتكم ضربتموه وكسرتموه، إنه يعيش على المشكلات ويثيرها طوال الوقت. هذه هي الإمارة التي عناها الأخ قدورة فارس. أما هم في العقوبات، فاسأل تاريخ السجون، كم من عقوبات ولكمات، وحتى الجلد والطرد والاتهام، لكل عنصر يخرج على سياسة التنظيم عندهم، وفي كثير من الأحيان تكون هذه العقوبات ظلماً وعدواناً.

وعلاقاتنا مع التنظيمات والإخوة في الجهاد، كانت تقوم على الاحترام، واحترام متميز مع الإخوة من فتح هناك في سجن الخليل. الإخوة الكرام عبد المنعم وهدان، وجهاد الشايب، وفاخر أبو زايد، وناصر عمرو، وجهاد جرادات، وعبد الفتاح خليل

وخالد الأزرق، والأخ أحمد العصا أبو أنس من الجهاد الإسلامي، وكثير من أبناء الجهاد هم إخواني، ومن ذكرتهم إخواني وأحبهم، لكن كان من يعكر هذه العلاقات أناس كـ"خ. ص."، وكان من الجهاد الإسلامي، وأخيراً طردوه لمشكلات مالية، وتنظيمية، لكن المعروف عنه أنه "محراك شرّ"، لا يريد للحركتين حماس والجهاد أن تتفقا أبداً، ودائماً يعمل على إثارة الفتن، ولقد كان استفزازياً أينما حلّ، حتى أن سيماء المشكلات في وجهه، وبلغ من الغيظ عليه أن أوجعوه ضرباً في مجدو.

مجزرة الحرم الإبراهيمي:

نحن في سجن الخليل نتوسط المدينة ونعلو جبلها، ونسمع الأذان يعلو ويتردد من مآذنها، حتى إن صلاة العيد تصل إلينا تكبيراتُها من المساجد، ومن شبابيك السجن نشاهد أطراف المدينة وتلالها. ومن الأسرى من يعيش مع أهله بالإنارة، التي تحيط ببيته المقابل للسجن في ساعة معينة، كالأخ المجاهد سامر النتشة، ابن الحاجة يُسرَى؛ لأنه كان يُنادى باسم أمه، وهي أختٌ جليلة القدر، وكانت تقوم على توفير احتياجاتنا من خلال الزيارة إذا لزم الأمر، فما يجري في الخليل من أحداث سرعان ما يصل إلينا.

وفي صبيحة يوم الجمعة، الخامس عشر من رمضان، الموافق 1994/2/25، والناس في صلاة الصبح، وفي سجود التلاوة، من الركعة الأولى من سورة السجدة؛ وإذا بالمجرم القاتل، ابن الصهيونية الحاقدة باروخ جولدشتاين Baruch Goldstein، يقتحم على المصلين صلاتهم في المسجد الإبراهيمي، ويطلق عليهم زخات من الرصاص وهم ساجدون، فكانت الشهادة مع أقرب لحظة من الله، ما أعظم هذه اللحظات، وما أغناها!! ويا ليتني كنت مع الركب، وكان لي مع الشهادة نصيب.

لقد صَحَت الخليل والعالم من حولنا، على وقع هذه الجريمة البشعة، التي هزت مشاعر البشر في كل مكان، وأن يقتل الناس هنا وهناك، فذلك معروف عند الاحتلال، ومعروف عنه قتل الأطفال، وحتى الأطفال في بطون أمهاتهم، أما أن يقتل الناس في دور العبادة... في صلواتهم... في سجودهم... فهذا في أيام الإلحاد لم يحصل، إلا عندما قصف حزب البعث، بقيادة حافظ الأسد مساجد حماة.

لقد استشهد في هذه المجزرة 29 شهيداً من أهل الحرم، ومن جوار الحرم ومن أهل الخليل. وسالت الدماء وأزهقت الأرواح على أرض الحرم، وشكلت لجنة تحقيق

صهيونية، انتظرها الناس أن تضيّق على الصهاينة واعتداءاتهم، وإذا باللجنة تقسّم الحرم، وتعطي الصهاينة ثلثي الحرم، بعد أن كان أقل من نصفه تحت سيطرتهم.

ولما بلغتنا الأخبار في السجن، وتناقل الناس أسماء الشهداء، وكان من بينهم الشهيد وائل المحتسب رحمه الله، وله بيننا أخ كريم، وولد حبيب، هو نائل المحتسب، هذا الفتى الذي كنت أخشى عليه من ردة الفعل، فجاءني مدير السجن، واسمه جابزون وقدم واجب العزاء، وقال عن القاتل: هذا مرفوض عندنا، كما هو مرفوض عندكم. وقبلتُ منه زيارته، وقلت له: لنا أخٌ في قسم (أ)، وأخوه من الذين استشهدوا في هذه المجزرة، فاعمل على نقله حالاً عندنا، حتى لا يخرج عن المألوف. وفعلاً أمر بنقله، وأقبل علينا ولدنا نائل وهو يضحك، ويقول: أخي شهيد، أخي شهيد، وكان فرحاً بشهادة أخيه، ويثني على الله بالحمد. وسرني من نائل هذا الموقف، وقد سبق أن استشهد من أبناء عمومته، الشيخ حاتم المحتسب[25]، واستشهد معه المجاهد يعقوب مطاوع[26]، في واد أبو اكتيلة من أرض الخليل. ويعقوب هذا كان يصعد ذات ليلة، والثلوج قد كست مدينة الخليل، إلى سطح البيت، ويقف بين يدي ربه في ركعات من الليل تشهد له يوم القيامة، فمشى على أثره أبوه ليرى من أمر ولده، وإذا به قائم يصلي، فقال أبوه: اذهب يا ولدي، أنت لست من أهل الدنيا... ورحم الله شهداءنا.

وخطبت الجمعة، ومثلي ماذا يقول في الشهداء؟ يا ليت أمي لم تلدني، تحدثت عن الأرواح وهي تصعد إلى حواصل الطيور الخضر وهي ساجدة، هناك أيام الصحابة الأوائل، قتلوهم بالوتير ركعاً سُجداً، فاستنصروا بالرسول ﷺ، فانتصر لهم رسول الله ﷺ، أما هنا فقد قتلونا ركعاً سُجداً... ولكن الله سينتصر لنا، وإنه لهم لبالمرصاد. خطبت الجمعة وقلت: نحن في ضيافة سيدنا إبراهيم، وَمَنْ يسكن هذه المدينة

[25] **حاتم يقين المحتسب (...–1993):** ولد في مدينة الخليل، وعمل في الدباغة. نشط في الانتفاضة الأولى واعتقل نهاية الثمانينيات لعامين في سجون الاحتلال الصهيوني. أسهم في تأسيس العمل العسكري لحركة حماس في منطقة الخليل بصحبة الشهيد عماد عقل وكان من أوائل "مجموعة شهداء الأقصى". شارك في عدد من عمليات المجموعة واستشهد والشهيد يعقوب مطاوع في 1993/5/19، بعد معركة طويلة كانت طليعة معارك الاشتباك حتى الشهادة التي سطرها مطاردو كتائب القسام في الخليل.

[26] **يعقوب يوسف مطاوع (1973–1993):** ولد في مدينة الخليل. التحق بجامعة القدس المفتوحة كلية الشريعة الإسلامية. نشط في فعاليات الانتفاضة الأولى التي كانت تنظمها حركة حماس، واعتقل لهذا في سجون الاحتلال الصهيوني. كان من أوائل المشاركين في العمل العسكري لحركة حماس واستقبل الشهيد عماد عقل في بيته. استشهد والشهيد حاتم المحتسب في 1993/5/19، بعد معركة طويلة، كانت طليعة معارك الاشتباك حتى الشهادة التي سطرها مطاردو كتائب القسام في الخليل.

فهو في ضيافة سيدنا إبراهيم، وأهل الخليل بارك الله في أرزاقهم، وهم كرماء وقد غمرونا بكرمهم، على صعيد الأهل، وما يلزم من احتياجات، عن طريق الزيارة، أو عن طريق الجمعيات الخيرية، فجزى الله أهل الخليل خير الجزاء.

وكيف لا ومنهم المشايخ الأجلاء النائب محمد جمال النتشة[27]، وأبو نعيم النتشة، وأبو جبير النتشة، والحاج ماجد الجعبة، والمجاهد هارون ناصر الدين، وشادي غلمة[28]، والدكتور مصطفى شاور، والدكتور النائب عزام سلهب[29]، والنائب نزار رمضان[30]، والشهيد عباس العويوي، والنائب الدكتور محمد ماهر بدر[31]، وأبو رضوان زكريا الديك. ومن كرم أهل الخليل وتكافلهم الاجتماعي أنه ما من بيت هدمته سلطات الاحتلال على خلفية إيواء مجاهدين، إلا وتبرع أهل الخليل ببنائه وعودته أحسن مما كان. بينما لا يوجد مثل هذا في المدن والقرى الأخرى وعلى هذه الصورة. وفي ليلة واحدة جمعوا للبيوت التي هُدمت جراء عملية الثأر التي قام بها

---

[27] **محمد جمال النتشة (1958–):** ولد في مدينة الخليل، حاصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأردنية. عمل في التدريس وفي أعمال تجارية حرة، وشغل عضوية عدد من اللجان والمؤسسات الخيرية. اعتقل أكثر من مرة في سجون الاحتلال وحكم عليه ثماني سنوات لدوره القيادي في الجناح العسكري لحركة حماس، كتائب القسام. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية. فاز في الانتخابات التشريعية سنة 2006 عن مدينة الخليل ضمن كتلة التغيير والإصلاح، وهو معتقل في سجون الاحتلال.

[28] **شادي فايز غلمة (1979–):** ولد في مدينة الخليل، شقيق القائد القسامي الشهيد جهاد غلمة. انتظم في صفوف كتائب القسام في خلية لخطف الجنود الصهاينة بقيادة الأسير المحرر مؤاب جبارة. اعتقل يوم 1997/11/25 بعد فشله وإخوانه في محاولة اختطاف أحد الصهاينة في القدس. وبعد مطاردة لسيارتهم تمّ اعتقالهم بالقرب من رام الله. حكم لمدة 23 عاماً.

[29] **عزام نعمان سلهب (1956–):** ولد في مدينة الخليل. حاصل على شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ومحاضر في كلية الشريعة في جامعة الخليل. شغل عضوية عدد من المؤسسات الاجتماعية والخيرية، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لنشاطه القيادي في حركة حماس. أبعد إلى مرج الزهور سنة 1992. انتخب لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني عن مدينة الخليل سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال.

[30] **نزار عبد العزيز رمضان (1960–):** ولد في مدينة الخليل. هاجر والده من الفالوجة سنة 1949. حاصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة، وكان رئيساً للكتلة الإسلامية في الجامعة. عمل في مجال الصحافة والنشر، وشغل عضوية عدد من المنظمات واللجان. اعتقل عدة مرات، وألف كتاباً عن إبعاد مرج الزهور. انظر: نزار رمضان، **على مشارف الوطن** (بيروت: دار الرشاد الإسلامية، 1993).

[31] **محمد ماهر بدر (1956–):** درس في المدينة المنورة وحصل على الماجستير في تخصص أصول الفقه من الجامعة الأردنية، وعمل محاضراً في جامعة الخليل. عضو في عدد من المؤسسات الخيرية والتربوية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. انتخب لعضوية المجلس التشريعي سنة 2006 عن كتلة التغيير والإصلاح.

المجاهدون مروان محمد سعيد أبو ارميلة، وإياد أبو حديد[32]، وعايد الأطرش[33]، مبلغ مئه ألف دينار أردني (نحو 141 ألف دولار أمريكي)... فبارك الله في أهل الخليل.

الثأر:

بعد هذه المجزرة، أصبحت الأجواء مشحونة، وتنادى الناس بالانتقام، "الانتقام الانتقام يا كتائب القسام"، ومدينة الخليل مدينة الشهداء... ومدينة العطاء، وهي من زمن بعيد محسوبة على حماس، وأول ما تشاهده عندما تدخل الخليل، رسم على واجهة بيت كبير، "مدينة حماس ترحب بكم"، وبقي إلى أن أزاحته السلطة الفلسطينية بعد الحسم في غزة.

خرج ثلاثة من رجالنا طلباً للثأر، وبينما هم في طريقهم للعملية... وللهدف الذي حددوه، حوصروا في بيت قريب من وادي القاضي، أو هو أقرب إلى جبل جوهر، وحاول العدو أن يصل إليهم لكن دون جدوى. واشتبك الرجال، وهم: مروان محمد سعيد أبو ارميلة، وإياد أبو حديد، وعايد الأطرش، اشتبكوا مع جرافة للعدو، تريد أن تهدم عليهم البيت، وهو من ثلاثة طوابق، ومن اشتباك لاشتباك، ولثلاثة أيام. وقد جاءهم وفد من أهل الخليل حتى يسلموا أنفسهم، وبعرض من الحاكم العسكري، فكان جوابهم ارحلوا عنا، فإنا أقرب إلى الله من هذا العرض الزائل. وهُدم عليهم البيت واستشهدوا رحمهم الله، وقيل: أصيب في هذه المعركة شاؤول موفاز (وزير الحرب الصهيوني فيما بعد). واجتمع أهل الخليل على الشهداء فدفنوهم، واجتمعوا كذلك لبناء ما انهدم، فجمعوا في ليلة واحدة مئة ألف دينار أردني، وأعادوا البيت لأهله أحسن مما كان... وحيا الله أهل الخليل.

وهذه سياسة ليست بجديدة على الاحتلال، ففي انتفاضة الأقصى، هدمت قوات الاحتلال على القسامي محمد الحنبلي في نابلس عمارة الوفاء، بعد أن قتل منهم اثنين

---

[32] **إياد حسين أبو حديد (...–1994):** من مواليد مدينة الخليل. نشط في كتائب القسام وانضم لـ"مجموعة شهداء الأقصى" التي خططت لخطف جنود صهاينة. استشهد والشهيدان مروان أبو ارميلة ومحمد الأطرش، يوم 1994/3/22، بعد حصار استمر لأيام في أحد بيوت وادي القاضي في مدينة الخليل، تخلله اشتباك أدى لمقتل عدد من قادة وجنود الصهاينة.

[33] **محمد عايد الأطرش (...–1994):** ولد في مدينة الخليل. نشط في كتائب القسام "وحدة الأهوال" وشارك في تنفيذ عدد من العمليات المسلحة. استشهد والشهيد إياد أبو حديد ومروان أبو ارميلة، يوم 1994/3/22، بعد حصار استمر لأيام في أحد بيوت الخليل، تخلله اشتباك أدى لمقتل عدد من قادة وجنود الصهاينة.

وأصاب ثلاثة. وكذلك استخدمها الاحتلال في الخليل، بعد اشتباك عنيف مع القساميين الأبطال أحمد بدر، وعز الدين مسك، وحاتم القواسمي، ورحلوا شهداء بعد أن هدموا عمارة كبيرة عليهم.

بعد المجزرة توعد القائد القسامي يحيى عياش[34]، بالرد الخماسي ثأراً لشهداء الحرم الإبراهيمي، فكان له ما أراد، ونجح في إعادة البسمة على الناس بعمليات ابتدأت برائد زكارنة في العفولة، وانتهت بعملية صالح صوي في تل أبيب، وَعَلَّمت حماس الأمة أن المقاومة عزيزة، وأن حماس إذا قالت فعلت.

وقبل الرحيل عن مدينة الخليل، كان في البلدة القديمة من المدينة سوق قديمة تنبعث منها رائحة التاريخ، وكانت هذه السوق على الدوام، يأتيه الناس من المدينة ومن القرى المجاورة، وحتى من المدن الأخرى وقراها... سوق مشهورة، لها شهرة كباب خان الزيت عندنا في القدس، ففيها سوق لِلَّبَنْ، وسوق للحدادة، وسوق لِلَّحم، وللخضار والفواكه، وفيها منطقة يقال لها "خزق الفار"، ومشهور ذلك عند أهل الخليل، والقرى. فقلت للأخ الحبيب سفيان النتشة، وعلى مقربة منا الأخ الحبيب بهاء الزرو، قلت ممازحاً: يا سفيان، أين يقع خزق الفار؟ وأنا فعلاً أريد أن أعرف أين يقع؟ لأني حقاً أجهله. فأجاب بابتسامة تعلو وجهه، وبنكتة سريعة، خزق الفار، قلت: نعم، قال: تحت ذنبه، مما أضحكني، وأضحك السامعين.

انطلاقة حماس في السجن:

لكل تنظيم احتفاله في ذكرى انطلاقته، في السجن وخارج السجن، وفي ذكرى انطلاقتنا يبدأ الإعداد لحفل في ساحة المعتقل، وأتت على الأسرى سنوات كانت الساحات، هي ميادين احتفالات الانطلاقة، لكن اليوم ومع التشديد والحرب الضروس، التي يتولى كبرها العدو الصهيوني ومصلحة السجون، يقتصر الأمر على الغرف، وبلا هتافات حتى يبقى محصوراً في الغرف.

[34] **يحيى عبد اللطيف عياش (1966–1996):** ولد في قرية رافات جنوب غرب نابلس. حاصل على بكالوريوس هندسة كهربائية من جامعة بيرزيت، متزوج وله ولدان. التحق بصفوف كتائب القسام وأدخل إلى الوجود العمليات الاستشهادية بالأحزمة والسيارات المفخخة فلقب بالمهندس، واشتهر بثأره لشهداء مجزرة الحرم الإبراهيمي. اغتيل في بيت لاهيا شمال قطاع غزة في 1996/1/5، باستخدام عبوة مفخخة زرعت في هاتف نقال استخدمه الشهيد.

في الخليل في تلك الأيام، جرى احتفالنا في ساحة السجن، وافتتحه الأخ المجاهد بلال اشتيه قارئاً سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[35]، وكتبتُ كلمة شارك فيها الأخ عادل عوض الله، قلت فيها بعد الحمد والثناء على الله، والصلاة على نبيه، وبآيات من سورة المجادلة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[36].

وقلت فيها، وقد ألقاها الأخ المجاهد ربحي غزال، جئنا على قدر نلبي يا فلسطين، لنطبع على شفتي البنا بسمة، ونمسح عن عيني القسام دمعة، وتابعت بتحية لشيخ الانتفاضة، الشيخ أحمد ياسين، والشهداء والأسرى، ومستقبل هذا الصراع، وانتهت الأمور على خير.

الإضراب مرة ثانية:

معروف أن المرأة الفلسطينية، كان لها حضور قوي في هذا الصراع، ومن خلال ثورة الشعب الفلسطيني وانتفاضته، صنعت المرأة أحداثاً وشاركت الرجال في همومهم، وقاتلت مع الرجال، وكفاها فخراً أنها أنجبت الرجال. وكنت أقول إن معاناة الأهل خارج السجون، لا تقل عن معاناة الأسرى داخل السجون. سنوات طويلة والأمهات والأخوات والبنات، من سجن إلى سجن في زيارات للأسرى، واعتصامات تضامناً مع الأسرى، واهتمامات يعجز الرجال عن تحقيقها أمام إصرار المرأة.

فأمهاتنا... كلُّ أمهاتنا، شكلن حضوراً تناقلته الأجيال. وأقول: مَنْ في شعبنا الفلسطيني ينسى أو يجهل الحاجة فرحة البرغوثي، والدةُ المجاهِدَيْن الصابِرَيْن البطلين: عمر البرغوثي (أبو عاصف)، ونائل البرغوثي عميد الأسرى في سجون الاحتلال (أبو النور)؟ هذه المرأة التي طرقت كل الأبواب من أجل الأسرى وتحريرهم. ذهبت إلى الأردن فسورية فلبنان، والتقت قادة الثورة، من أجل القضية ومن أجل تحرير الأسرى، دخلت على الرئيس عرفات مراراً، وكان يتحاشى لقاءها من سلاطة لسانها في الحق، ودخلت على جورج حبش، وما جاملته في حديثها، وقالت له: لماذا تجامل عرفات على حساب الحق؟ لماذا تجعله ينفرد بالقضية ومصيرها؟ هذا ما سمعته بنفسي منها وعنها.

[35] **القرآن الكريم**، سورة الفلق، آية 1.

[36] **القرآن الكريم**، سورة المجادلة، آية 20–21.

ودخلت بناتنا السجون منذ الأيام الأولى للثورة الفلسطينية، وخرجت معنا في تبادل الأسرى سنة 1985 اثنتان وعشرون أسيرة، من ذوات الأحكام العالية. وما خلت السجون من المناضلات الفلسطينيات، كالأخت والابنة المجاهدة أحلام التميمي وزميلاتها في السجون، اللواتي ضربن المثل الأعلى في العطاء والصمود، حتى إن قاضي المحكمة العسكرية، بعد أن حكم على الأخت أحلام بالمؤبدات، أوصى في قرار الحكم ألا تخرج من السجن أبداً. لكن إرادة الله كانت غالبة فخرجت في صفقة وفاء الأحرار. والأخت عطاف عليان شكلت قدوة حسنة في التضحية والعطاء، والصبر وتحدي الاحتلال.

ومن قبل كانت الأخت لمياء العبد الله (أم إبراهيم)، زوجة المناضل والمجاهد توفيق العبد الله، من أهل الصبر والعطاء، حتى خرجت في الإفراجات. وقد أضربت السجون جميعها إضراباً مفتوحاً من أجل التضامن معهن، ومن أجلها هي وأخواتها في السجون، وقد دخلن الإضراب عن الطعام من أجل حريتهن.

في سنة 1995 دخلت السجون إضراباً مفتوحاً عن الطعام، تحت أكثر من مطلب وشعار، نصرة للأسيرات، ومن أجل الاعتراف بالأسرى أنهم سياسيون وأسرى حرب، وكذلك من أجل تحسين أوضاعهم، ومن المعتاد عليه، وهو عرف اعتقالي، أن سجني عسقلان وجنيد، هما مَنْ يوقعان على أَيّ خطوة استراتيجية، وهما صاحبا القرار باتفاق مع جميع السجون، في دخول الإضراب أو فكه.

كنا في سجن الخليل، وتضامناً مع هذا الإضراب، بالرغم من أن أيامه لم تطل، تضامنا ثلاثة أيام، وانتهى إضرابنا مع انتهاء الإضراب في سجن جنيد، مع أن عسقلان كان يرفض أن يفك الإضراب. وذهبت إلى سجن عسقلان، وسجن الخليل لا يزال مضرباً، والتقيت هناك المهندس إسماعيل أبو شنب رحمه الله، وعسقلان يصرّ على إضرابه، لكن في النهاية لم يؤت الإضراب أُكله، وما تحقق له ما يريد.

وكان لسجن جنيد رؤيته في فكّ الإضراب، دون التنسيق مع عسقلان، وسمعت أنه تعرض لضغوط من الرئيس عرفات، عندها سكت الكلام. وفيما بعد رُحِّلَ مَنْ في سجن جنيد، إلى السجون الداخلية، لأن السلطة الفلسطينية في طريقها إليه، حسب اتفاقية أوسلو، ولحق به فيما بعد سجن الخليل.

قضية الأسرى واتفاق أوسلو:

من المعروف أمام أي اتفاق أن ما ترتب على قضاياه يشمل الحلول للأسس التي أدت إلى هذا الاتفاق. فجموع الأسرى بتضحياتهم، هم من أوصلوا الثورة الفلسطينية إلى جميع المنابر الدولية، مع قوافل الشهداء. فالشهداء رحلوا إلى ربهم، أما الأسرى، فهم الشاهد على جميع مراحل الثورة، وهم الجسور والوقود المتجدد لاستمرار الثورة. وكان للأسرى دورهم القوي والفاعل، على صعيد الشارع الفلسطيني والجامعات، بل هم بالنسبة لفتح وفصائل المنظمة من أوجدوا حركة الشبيبة الفتحاوية والكتل الطلابية في الجامعات والمدارس، والنقابات العمالية وما إلى ذلك.

وأن تصل المنظمة إلى اتفاق مع الاحتلال، واعتراف الطرفين بالآخر، يعني أن قضية الأسرى يجب أن تكون من الأولويات في أي اتفاق. ولكن للأسف، فإن المفاوض الفلسطيني الغائب عن قضية الأسرى، وقّع الاتفاق، وتجاهل قضية الأسرى؛ لأنها ما كانت حاضرة في نفوسهم، قبل أن تكون حاضرة في اتفاقهم. فلو كانت لها أولوية في نفوس المفاوضين، لجعلوها أولاً، ومع التوقيع يخرج من في السجون، وينتهي هذا الجرح النازف، لكن مفاوضنا الفلسطيني بعدما فات الأوان، أدرك أنه توجد قضية أسرى. وكل العالم سمع شمعون بيريز Shimon Peres في اتفاق القاهرة، برعاية الرئيس المصري السابق حسني مبارك، لما حضر عرفات ورابين وبيريز، وحصلت إشكالية، وقال مبارك لعرفات، ستوقع وأنت مثل "الك..."، والعالم من على الفضائيات، يشاهد الإرباك الذي حصل. وفي النهاية وقع عرفات على الخرائط، كما أرادها الإسرائيليون، وقال بيريز: جئت بملف الأسرى، وانتظرت من المفاوض الفلسطيني أن يطرق بابه، لكن المفاوض الفلسطيني لم يُعره انتباهاً. نعم المفاوض الفلسطيني لم يسبق له أن عانى من السجن، فما فتح هذا الملف، وتركه لحسن نوايا "إسرائيل"، حتى ابتزوه ابتزازاً مرهقاً ومذلاً.

هذا المفاوض، لو اشتغل بمنطق علمي ومسؤول، وجعل لكل قضية فريقها وملفها، وأعطى أصحاب الاختصاص مجالهم في العمل، بدلاً من أن يذهب على شاكلة المخاتير عند الحاكم العسكري... لأنتج، ولما أبقى هذه القضايا عالقة، حتى بدا ضعيفاً أمام كل موقف، يستجدي استحقاقات هذا الملف على مائدة المفاوضات مع دولة الاحتلال بِذِلَّة. والحديث عن هذه القضية طويل ومؤلم؛ لأنها أخذت طابعاً آخر، طابع التسوّل على صيت الأسرى وسمعتهم، فاستغلت دولة الاحتلال هذه الحالة الإنسانية استغلالاً بشعاً.

الأيام الأخيرة في سجن الخليل:

ذكرت من قبل، أن حماس دبت فيها الاعتقالات، على نحو غير مسبوق، وعلى اتساع مِن الضفة الغربية وقطاع غزة، وحتى من الخارج. فالإخوة أبو أنس محمد جراد، وأبو أحمد محمد صلاح، وأبو سالم جميل صرصور، الذي كنت سبباً في اعتقاله، هؤلاء يحملون الجنسية الأمريكية، واعتقالهم جاء على خلفية الدعم والتمويل الحركي لحماس. وإخوة آخرون جاؤوا من الخارج، وصدرت ضدهم أحكامٌ قاسية، وانتهى بهم المطاف أن حُرموا من العودة إلى ديارهم، وإنْ دلّ هذا على شيء، فإنما يدل على قوة الحركة الصامتة والنافذة، في نسيج حماس المحلي والإقليمي والدولي.

أما على صعيد مدينة الخليل، فكان لها نصيبها الوافر من هذه الاعتقالات. فإخواننا في الخليل بعدما تأخروا عن الانتفاضة سِتة أشهر، أتوا بما لم يأتِ به الأوائل، وشكلوا زخماً عجيباً في العطاء، واعتقلت لهم مجموعة متقدمةٌ، على صعيد العمل العسكري، بقيادة الأخ ناجي سنقرط، وعضوية الأخ أبو يحيى جواد الجعبري، والأخ عبد القادر إدريس وآخرين، وحوكمت هذه المجموعة، وجمعتنا بها الأيام.

وكانت هذه المجموعة من الوافدين على سجن الخليل، وبحضورهم حُقَّ لي أن أتفرغ من المسؤولية، وحُقَّ لهم أن يأخذوا دورهم، وهم من الوعي والنضج على مستوى متقدم، وأصحاب تجربة اعتقالية، فآثرت بوجود هؤلاء أن أتفرغ لهمومي وبعض شأني، ودون أن تجري انتخابات لما بيننا من الثقة والألفة. تسلم الأخ ناجي وفريقه مقاليد الأمور، وبقي التنظيم محافظاً على حيويته، إلى أن رحلنا إلى سجن عسقلان، بسبب أوسلو القادم إلى الخليل.

وتعليقاً على سجن الخليل أقول: إنه من أهم المحطات في حياتي، فقد نلْتُ شرفاً بلقاء هذه الجموع من الأسرى وهذه النخبة من القيادات، وعلى رأسها الشهيد القائد جمال عبد الرحمن منصور (أبو بكر)[37] بعد عودته من مرج الزهور. وكانت البركة في طيات

[37] **جمال عبد الرحمن منصور (1960–2001):** ولد في مخيم بلاطة بنابلس لأسرة هجرت من قرية سلمة سنة 1948. حاصل على شهادة البكالوريوس في المحاسبة وإدارة الأعمال من جامعة النجاح الوطنية. كان رئيساً للكتلة الإسلامية في جامعة النجاح وأحد مؤسسيها، وشغل موقع المتحدث الرسمي باسم حماس في الضفة الغربية. اعتقل أكثر من مرة في سجون الاحتلال، وفي سجون السلطة الفلسطينية. اغتيل بقصف استهدف مكتبه في 2001/7/31، واتهمه الاحتلال بالمسؤولية عن الجهاز العسكري لحماس في شمال الضفة الغربية.

هذه التجربة، وكان له من العطاء المبارك، مع حضور هذا الكم من الكوادر، التي تفجرت طاقاتها تعليماً، وتثقيفاً، وتربية وخدمة. وكانت عوامل التربية متميزة، وفيها من العز ما حافظ على صلابة النواة، داخل السجن وخارجه.

ولقد حضنت الخليل وجبالُها، ريفُها وحضرُها رجالاً عظاماً نجحوا في قيادة المرحلة، فالشيخ صالح العاروري، الذي تخرج في جامعة الخليل، والذي ترأس الكتلة الإسلامية فيها، نجح في تفريغ الرجال للعمل الجهادي، وأتى بالشامي على اليمني، واليمني على المغربي. والشيخ صالح من عارورة قضاء رام الله. ومِنْ على أرض الخليل، اجتمعوا من غزة ومن الضفة، وحملوا اللواء، فالإخوة عماد عقل، ومحمد دخان[38] من غزة، وموسى دودين، وعباس شبانة[39]، وهارون ناصر الدين، وصلاح العواودة[40]، وموسى عمرو، وسفيان جمجوم، وأبو عاصم الأخ الحبيب جميل النتشة[41] من الخليل. وهؤلاء جميعاً شكلوا رافعة للعمل الجهادي، وكانت الخليل بريفها حضناً دافئاً لحراك هؤلاء المجاهدين. وكلما دبت بينهم الاعتقالات، دبت فيهم الحياة، وتجدد فيهم العطاء. وعلى هذا الدرب، كان الحَظ الوافي والقَدَح المعلّى، من نصيب عائلة القواسمي؛ والتي وحدها شكلت تنظيماً، وقاعدة لحماس. إذْ شاع عند الصهاينة مصطلح التنظيم على

---

[38] **محمد عبد الفتاح دخان (1972–):** ولد في مخيم النصيرات وسط قطاع غزة. والده من كبار قادة جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين ومؤسسي حركة حماس. التحق بالمدرسة الصناعية في مدينة القدس. شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى، وانتظم في صفوف كتائب القسام بصحبة الشهيد عماد عقل وشارك في عدد من عملياتها. استشهد شقيقه طارق القيادي في كتائب القسام سنة 1992. اعتقل جريحاً بعد معركة في مخيم النصيرات يوم 1993/4/11 وحكم عليه بالسجن المؤبد ثلاث مرات وعشرين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[39] **عباس عبد الله شبانة (1971–):** ولد في مدينة الخليل، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في صفوف حركة حماس في أثناء الانتفاضة الأولى. التحق بفرقة الأهوال إحدى مجموعات كتائب القسام الأولى. عمل مسؤولاً عن تنسيق العمليات بين مدينة الخليل وقطاع غزة في كتائب القسام، وكان له صلة بالشهيد عماد عقل. اعتقل لذلك يوم 1992/12/26، وحكم بالسجن لمدة 23 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[40] **صلاح الدين طالب العواودة (1970–):** ولد في قرية كرمة جنوب مدينة دورا بمحافظة الخليل، التحق في جامعة الخليل لدراسة التاريخ، انضم لـ"مجموعة شهداء الأقصى" إحدى المجموعات الأولى لكتائب القسام في منطقة الخليل وشارك في عملية "الحاوز". اعتقل يوم 1993/4/14 وحكم بالسجن المؤبد. استكمل تعليمه في السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

[41] **جميل عبد الوهاب النتشة ([1963]–):** ولد في مدينة الخليل. انتمى لإحدى المجموعات الأولى لكتائب القسام في مدينة الخليل "مجموعة شهداء الأقصى". اعتقل في 1992/12/15، وحكم بالسجن 21 عاماً تاركاً خلفه زوجته وأبناءه.

عائلة القواسمي. وهذه العائلة قدمت قافلة من الشهداء، وجموعاً من الأسرى، بل ومن بيت واحد اجتمع خمسة من الإخوة في سجن واحد، منهم أربعة يحفظون كتاب الله، وهم: زياد ومحمود وَحسين وحجازي، والشهيد مراد علي القواسمي[42] شقيقهم، وكان معهم. ومن قبل في الانتفاضة الأولى، اجتمع حسام وحسين في قضية واحدة.

الانتقال إلى عسقلان:

لما تقدمت الأيام بأوسلو، بعدما انتهت مرحلة غزة أريحا – أولاً، أُذن لهذا الكسيح —أوسلو— أن يزحف أرضاً، على مدن الضفة الغربية، زَحَفَ زَحْفَ الكسيح، ومهما أوتي من أسباب القوة، فهو مهيض الجناح. ويبقى كيان السلطة الفلسطينية ضعيفاً وعالةً، حتى في لقمة العيش، على الاحتلال، وإلا ما المصلحة من وراء هذا الدعم المالي، من دولة الاحتلال ومن الدول المانحة؟!

أوسلو له استحقاقاته بالنسبة للطرفين، وهي استحقاقات ظالمة، ظاهرها فيه الدولة، وباطنها فيه العذاب والخراب، وألا تقوم دولة، ولن تقوم في ظلّ هذه الاستحقاقات. ومن استحقاقات أوسلو العودة "المظفرة" للمحاربين، وقد انتهت العداوة، ورفعت الكلفة بين أعداء الأمس، ودخلت ثقافة الغالب على المغلوب على لسان عرفات لرابين: "أنا مشتاق لك"، وأن إسحق الآن أخ لإسماعيل، وأن إبراهيم عليه السلام هو أبو الشعبين. نعم سيدنا إبراهيم والد لإسماعيل وإسحق، لكن كما قال القرآن: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[43] صدق الله العظيم.

نعم، لقد فرح الناس، وفرحنا بعودة المحاربين، الذين رضيت "إسرائيل" عنهم، بعد أن قدمت لها الكشوف بأسمائهم، وهي من تصدقت عليهم بالأرقام الوطنية، وسمحت لأسلحتهم بالدخول معهم، بعد أن رقمتها. وما كان لـ"إسرائيل" أن تسمح بعودتهم إن لم يكونوا حماةً لأسلو، وعلى الخصوص الاتفاقيات الأمنية التي وقعها الجانبان.

---

[42] **مراد علي القواسمي (1979–):** ولد في مدينة الخليل وعمل في مجال الكهرباء. تزوج في حزيران/ يونيو 2000 ورزق بأحمد. اعتقل في 2003/4/15 لعضويته في كتائب القسام ضمن خلايا الشهيد عبد الله القواسمي. خرج من السجن في 2004/4/15 ليواصل مع كتائب القسام. استشهد بعد معركة خاضها والشهيد عمر الهيموني والأسير إياد أبو اشخيدم مع القوات الصهيونية التي حاصرتهم في منزل، في مدينة الخليل في 2004/11/25.

[43] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 67.

وكم تمنيت أن يعود هؤلاء الثوار إلى فلسطين؛ لتسقط عنهم هذه الهالة التي قدّسها فيهم شعبنا في الأراضي المحتلة، وما علم أهل فلسطين أنهم هم من صنعوهم... وأنهم هم من أعطاهم الرمزية، بتضحياتهم ودماء أطفالهم... ومنهم مَنْ له صلة بالموساد، وإلا كيف توصل الموساد إلى قتل ماجد أبو شرار في روما؟ وعلى هذا قِسْ. وعدنان ياسين مثلاً كان يرسل كلّ محضر لديه لقادة الثورة، إلى الموساد أولاً بأول.

لقد كانت لهم من بعيد هالة الثورة، وكانت لهم قدسية عند كثير من الناس. وأحمد الله على رجوعهم حيث انكشفت حقيقتهم، وكل ما كان مستوراً منها.

نعم، من حقّ هؤلاء أن يعودوا إلى ديارهم، وهذا حقّ لكل فلسطيني. لكن عودة هؤلاء على حساب الحق العام، وعودة هؤلاء بما وقعوا عليه من اتفاقيات، والاعتراف بدولة الاحتلال، وضياع 78% من أرض فلسطين التاريخية... هذا ما لم نسمع به في آبائنا الأولين، وهذا ما يرفضه الشعب الفلسطيني أينما وجد.

ومرة أخرى نعم لعودة العائدين، ولا نشك في أن كثيراً منهم فيه الوطنية الصادقة، وأن منهم وعند اللحظة المناسبة مَنْ فرغ جام غضبه في أول مواجهة مع الاحتلال، فالشهيد أبو جندل مع أول فرصة سنحت ألهب نيرانها في معركة مخيم جنين. ومن العائدين من استشهد أبناؤهم، ومنهم من انتظم في صفوف المقاومة. لكن ما أتى به أوسلو من الخراب عَمَّ وطَمَّ، فـ"إسرائيل" لم تسمح بالكازينو عندها، ولكنها سمحت به أن يقام في أريحا تحت إشراف السلطة، وسمحت بتهريب أدواته تحت غطاء أنها ألعاب للأطفال. وكذلك الفساد المالي الذي وصل غباره إلى السجون؛ والسقوط الأخلاقي الذي أتى بالشاليهات وأحيا ليالي المجون؛ وهذه من نِعَم أوسلو على القضية!! حتى قال شمعون بيريز، في جلسة للكنيست الإسرائيلي يرد على من انتقد أوسلو من المعارضة عندهم: انظروا إلى شواطئ غزة، هل سبق أن شاهدتم هذه الحرية في الاختلاط بين الرجال والنساء؟ والرؤوس الحاسرة عند النساء؟! بالطبع هذا هو المطلوب عند دهاقنة الاحتلال، أن يجد الناس ملهاةً عن واجبهم الوطني، وأن يبهت الصراع بهزيمة الدين وأتباعه.

المهم أننا رحلنا إلى عسقلان، بعد أن فرضت السلطة حضورها في رام الله ونابلس، وجنين وطولكرم والخليل، وانتقل من كان في سجن جنيد ورام الله والخليل من الأسرى، إلى سجون الاحتلال في الداخل الفلسطيني... فاستوعب النقب جزءاً من الأسرى، وبقية

السجون استوعبت من تبقى منهم. واستوعب سجن عسقلان دفعتنا التي قدمت من سجن الخليل، وفينا الإخوة موسى دودين، وماجد الجعبة، وهارون ناصر الدين، والشهيد صلاح دروزة، واستقبلتنا إدارة السجن بالتفتيش. وفجأة استنفرت الإدارة، عندما تبين لها وجود مناشير لقصّ الحديد، وقد سألني مدير سجن الخليل عنها من قبل، فنفيت علمي بذلك، وقلت له: أنا لا أعمل عندك، حتى تسألني عن هذا الأمر، فما حار جواباً. ثمّ إن الأخ ماجد الجعبة حملها معه، وهو يطمع في تهريبها لعلها تكون فرصة.

حاولت الإدارة أن تحقق في ذلك، لكن المناشير كانت في الأغراض العامة، ما جعل الأمر عائماً، وليس بالإمكان الوصول إلى صاحبها. وانتهى التفتيش بعد مشادة بيني وبين ضابط، أخذ على عاتقه التحقيق، ورفضت أن أتعاون معه ولو بكلمة، فجاء مدير السجن وهو يعرفني وأعرفه، وقال: يا شيخ، أتريد أن تذهب بهؤلاء عن كتفي، (يعني الرُتب والترقيات) فقلت له: لا تأخذ الأمر بهذه الحساسية، نجحت في الوصول إلى المناشير، وهذا يعزز موقعك.

هوس أمني:

دخلنا على إخواننا، وكان فيهم أميرهم المهندس إسماعيل أبو شنب، والمشهور بين إخوانه بالحاج، واستقبلني في غرفته، رحمه الله، وكانت الأوضاع عندهم ساخنة، والتحقيقات الأمنية الداخلية على أشدها، فراقبت الوضع فترة من الزمن، خاصة وأن الهوس الأمني استحكم في النفوس، وحالة من الرعب حلت على قواعد الأسرى، ما جعل من هذه الحالة تطغى على البرامج الأخرى، وعلى الحياة التنظيمية، كما أثَرت على العلاقات مع بقية الفصائل.

أنا حتى الآن ضيف على إخواني، وسهلٌ عليَّ أن أندمج مع هذه الكتلة الأخوية، وما بيني وبين إخواني من العاطفة يذيب التحفظ، ويرفع التكليف. فكان من السهولة، التفاعل مع القاعدة التنظيمية والقادمين الجدد من السجون الأخرى، والذين تفرغوا على الغرف. لكن في عسقلان مشكلة، وقدمتُ إليه، وقد طارت في البلاد وبين السجون سمعة التحقيقات، وهي سمعة مزعجة، وأن يُقتل في التحقيق فلان، وأن تُضخم حالة فلان، ويكتب عنها كراس أمني، والكراس وصاحبه لا يستحقان أن يذكرا وكأنهما إنجاز، وأن صاحب الكراس عمل مع القوات الخاصة الإسرائيلية، ولكن مع أول فرصة لي: أتيت على الكرّاس، وقلت للأخ هارون ناصر الدين، مزقه ولا تبق منه أثراً.

هذه السمعة السيئة للتحقيقات، جعلتني أتأنّى في الحكم على الأشياء، فما تراه عيناي وتسمعه أذناي، لا يبعث على الراحة، ولا ترتاح إليه النفس، ويوجد خوف تنهار منه الأعصاب، ومرة في غرفة 9، وأمامي شاب انهارت أعصابه، وبشفرته ضرب سجاناً في وجهه، حتى يخرج من الغرفة، وفعلاً سحبته إدارة السجن إلى الزنازين، ورجع الشاب من بعد ذلك إلى صفوف إخوانه، بعد أن انتهت هذه الحالة، وتعافى التنظيم من هذا الشر، وهو من خيرة الشباب.

نعم، يوجد خوف وهواجس أمنية، وفي ظلهما تضيع الحقيقة، وتقتل الثقة بين المجاهدين، وتزرع الشك بين إخوانك، حتى الطاهر النظيف يلتفِت من حوله، ويصل الشك إلى نفسه. ونعم للعمل الأمني، ولكن على أن يقوم على أصوله، ونعم للتحقيق، ولكن لا بدّ من معلومات دقيقة، وبعيدة عن الشك وعن الظن، وربما الكراهية توصل المعلومة مبالغاً فيها "ومُبَهَّرة"، أما أن يصل التحقيق إلى قتل، فهذه جريمة. بل قال عادل الشحاتيت في مجدو، وهو خاضع للتحقيق أنا إنْ متّ فوالله إني شهيد، وأقتل مظلوماً، وعبد الفتاح الرنتيسي في عسقلان قتل مظلوماً. والذي ادعى أن عادل الشحاتيت اعترف بالجاسوسية هو كاذب، وهو مَنْ كتب اعترافاً كاذباً بعد موتِه ليسوِّغ غلطته، ونسي أن الله له بالمرصاد.

نعم، العدو وقح، ويعمل جاهداً على إسقاط الناس، ولا يفوّت فرصة، والمعصوم من عصمه الله، لكن كما تعلمنا عن السلف الصالح، ولعله قول للإمام الحسن البصري: "لأن يخطئ الإمام في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة".

إن هذه الحالة مع الأيام مزقت النفوس، وكان لإصبع الشيطان فيها نصيب، وكان لمخابرات السجن دورها القذر في إشاعة الفوضى، وهي التي تأمر عناصرها حال فضيحتهم، أن يعترفوا على أسماء طاهرة ونظيفة، حتى تثير البلبلة والشكوك، وتثير الشبهات من هنا وهناك.

وعودة إلى الوراء قليلاً، كنت طلبت من الحاج (أبو حسن) أبو شنب أن يعفيني مِنَ العمل التنظيمي، فرفض ذلك، وقال: هذا العرض غير مقبول علينا، وأمام إصرار الحاج رضي الله عنه لا أملك من أمري شيئاً، ورضيت بالذي يرضى به الحاج.

وجرت الانتخابات، وهي دورية كل ستة أشهر، وهي عملية تمارسها كل التنظيمات، وهي حقّ لكل الأفراد، ولها لائحة داخلية، تقوم على شؤون الناس، وتنظيم حياتهم ضمن

قوانين اللائحة، وكل تنظيم له مسؤول خارجية، ومسؤول مالية، ومسؤول إدارية، ومسؤول ثقافية، ويوجد لجنة أمنية، ومسؤول عنها عضو من المكتب المنتخب. كما اللجان الأخرى، جرت الانتخابات، وقلت في نفسي ما قاله الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حقّ أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لأن تضرب عنقي، ولا أن أتأمر على قومٍ فيهم أبو بكر"، ولئن تضرب عنقي ولا أتأمر على قومٍ فيهم الحاج إسماعيل أبو شنب، رحمه الله.

ووقع الاختيار على الحاج أبو حسن رحمه الله، أميراً علينا... ونِعم الأمير. وقد بكيته لما استشهد، وما بكيت أحداً سواه إلا أمي وزوج ابنتي فلسطين، وكتبت فيه نعياً وبعثته لأهله، وكنت أنا نائباً للأمير، نعم، وشرف لي أن أكون جندياً عنده. وعملنا معاً على صعيد العمل التنظيمي، والحاج مهندس، والمهندس مرتب، وحتى فهمه للعقيدة نابع من هندسة نفسه، وهو صاحب قدرة على التخطيط. ولكن لم يعجبني فيهم جميعاً فهمهم للأمن، وأدرك الحاج فيما بعد فداحة ذلك، وتعب ومرض، وذهب إلى المستشفى، وكانت تلك فرصتي في الحدّ من هذه الظاهرة، وفرملة كلّ الفرامل، وسآتي على ذكر ذلك.

وكان الحاج من الأدب بمكان، واختلفت وإياه على صعيد التحقيقات، وما سواها، فهو مهندس لكل شيء، وفي كل شيء، وجمعتنا الساحة على طاولة التنس، لكن على شرط لا غالب ولا مغلوب، ولأني لا أقبل الخسارة، حتى ولو في الرياضة. وذات مرة طلبت من أحد الإخوة المتنفذين أمراً، فعرج على الحاج يستشيره، ومن أدب الحاج أنه قال له: ما يطلبه الشيخ وما يقوله أوامر. إيه يا حاج إسماعيل، خيَّال، وفارس على فرسه، لا يلحق به أحدٌ، وإن كان ماشياً.

بقي الحاج أبو الحسن بيننا وظلّ أميراً علينا، إلى أن حان يوم الإفراج عنه، ولا أدري في أي الشهور لسنة 1997، كان ذلك، وسهّل الله دربه ورفع درجاته في عليين، اللهم آمين. وتوليّتُ الإمارة مِنْ بعده. لكن عندي استدراكاً، فقبل أن يغادرنا الحاج إلى البيت، كنت وإياه في غرفة واحدة، وصمنا رمضان معاً، وكنت إمامهم في الصلاة... وصلاة التراويح على الخصوص، وكان سروره بي عظيماً، لحفظي وسرعة قراءتي للقرآن، في صلاة التراويح. ووقع اختياره على الأخ موسى دودين، لشعبة الأمن، وهو اختيار موفق، وكان الشيخ صلاح شحادة، وإخوة آخرون أفاضل في غرفة رقم 9، وفيها

زوايا تحقيق، وهؤلاء الإخوة ماهر زقوت[44] ابن مجموعة الشهيد عماد عقل، والأخ حازم العايدي وأيمن أبو خليل[45]، وهارون ناصر الدين والحاج محمد حسن أبو هدوان وحازم عسيلة، وآخرون؛ لأن الغرفة تتسع لعشرين رجلاً. وفي إشكالية وقعت ضمن التحقيقات، رَحَّلتْ إدارة السجن معظم كوادر الحركة في غرفة 9، فرحلوا الشيخ صلاح، وماهر زقوت، وحازم العايدي، وحازم عسيلة وآخرين، ولم يبق من العشرين إلا عشرة، وهذا الأمر شكّل ضربة للتنظيم، فطلب مني الحاج أبو حسن، أن أنتقل إلى غرفة 9، فقلت: سمعاً وطاعة. وانتقلت إلى الغرفة التي طاف عليها طائف من الرحمن، ثمّ امتلأت الغرفة بالقادمين الجدد من سجن نفحة، وهم عرفات النتشة[46]، وسلامة مرعي[47]، ومحمد الرشق[48]، وفيها زاهر جبرين[49]، وموسى العكاري، ومحمود عطون،

---

[44] **ماهر خميس زقوت ([1966]–):** ولد في معسكر جباليا لعائلة هجرت من بلدة المجدل سنة 1948. اعتقل في سجون الاحتلال لمسؤوليته عن قتل عدد من الجنود الصهاينة في 1993/10/27، وحكم بالسجن مدى الحياة. متزوج ولديه ولد وبنت. التحق في الجامعة بالسجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[45] **أيمن محمد أبو خليل (1972–):** أسير مقدسي ولد في بيت حنينا، طالب في جامعة بيرزيت وناشط في الكتلة الإسلامية، وقيادي في كتائب القسام. أسهم في عمليتين لأسر جنود صهاينة، الأولى في 1994/4/20، وأصيب خلالها في كتفه، والثانية يوم 1994/7/6، وأصيب خلالها في قدمه. اعتقل في 1994/8/13، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة مؤبدات وتسعين عاماً. استكمل تعليمه الجامعي في السجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

[46] **عرفات سالم النتشة (1973–):** ولد في مدينة الخليل. نشط في صفوف كتائب القسام في "وحدة الأهوال" بصحبة الشهداء جهاد غلمة، وطاهر قفيشة، وحامد يغمور، والتي نفذت عدد من العمليات اتجاه العدو الصهيوني. اعتقل في 1994/8/29، وحكم عليه بالسجن المؤبد، ومنعه الاحتلال من استكمال تعليمه في السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

[47] **سلامة عزيز مرعي ([1973]–):** ولد في قرية قراوة بني حسان، والتحق في المجموعات الأولى لكتائب القسام في منطقة سلفيت. نفذ ضمن سرية شهداء عيون قارة عملية بروقين في 1993/3/20. اعتقل يوم 1993/11/4 وحكم عليه بالسجن المؤبد. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى دمشق.

[48] **محمد اكميل الرشق (1976–):** ولد في قرية قباطية قضاء جنين. انتظم في كتائب القسام وأسهم في التجهيز والإعداد والدعم اللوجيستي للاستشهادي رائد زكارنة منفذ عملية العفولة الاستشهادية، أولى عمليات "الرد الخماسي" ضدّ مجزرة الحرم الإبراهيم سنة 1994. اعتقل لدوره هذا أواخر شهر آب/ أغسطس 1994، وحكم بالسجن المؤبدة وعشرة أعوام. أكمل تعليمه في السجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18. متزوج وله طفل.

[49] **زاهر علي جبرين (1968–):** ولد في سلفيت والتحق في جامعة النجاح بنابلس. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال، وهو أحد مؤسسي كتائب القسام في الضفة الغربية. اعتقل سنة 1993، وحكم بالسجن المؤبد وأربعين عاماً. شارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى دمشق. انظر: زاهر علي جبرين، **حكاية الدم من شرايين القسام شهادة للعصر والتاريخ** (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2012).

ومحمود عيسى، وإياد أبو حسنة[50]، وغيرهم وأيمن أبو خليل ومصطفى رمضان من خانيونس، ومازن النحال[51] من رفح. وبعض من حُقق معهم من الذين نزلوا في زوايا التحقيق، واعترفوا بجاسوسيتهم.

ولما ذهب الحاج إلى المستشفى، وطال غيابه ما يقارب ثلاثة أشهر، عملت على تهدئة الأوضاع، وشيئاً فشيئاً أوقفت التحقيقات، وقامت ضدي القيامة من شعبة الأمن، والقائمين عليها، وخصوصاً أهل غزة، وقالوا: هذا ليس صحيحاً، وهذا اتفاق مع إدارة السجن، وما إلى ذلك. فمضيت على هذا الأمر بحزم، وأحضرت موسى وهارون، وقلت لهما: اجمعوا لي جميع الملفات، واعملوا من خلال لجنة عمل على تصفيتها من الغث، وما هو قائم على الظن، وكل ما يستحق الإتلاف أتلفوه؛ لأن فيها أعراضاً لأناس من أخوات وأمهات، ونجحت في السيطرة على الموقف. وشبّهت شعبة الأمن كأجهزة الأمن في الدول العربية.

كان الحمل ثقيلاً، وللدلالة على خطأ الممارسة الأمنية، في عسقلان وغيره من السجون، أن الأخ أبا إبراهيم السنوار، وهو قائد، ونموذج في القيادة، وهو من أحبابي، أحبه كثيراً وأزكيه في كل شيء إلا الجانب الأمني، فله مطبات. وفي بئر السبع، بل في "معبار" بئر السبع، أخضع مجموعة للتحقيق، وأعتقد اعتقاداً جازماً، أنها ظُلمت إلا واحداً، بعد دراسة ملفه حسب الأدلة والشواهد، حصل على البراءة، لكني لا أرتاح إليه ما حييت. أما البقية، فوقع عليهم ظلم، ومنهم شاب اسمه زاهر، رُحل من بئر السبع إلى عسقلان، وفي جلسة استماع في الساحة، جمعت الحاج أبو حسن وموسى دودين وزاهر، تحدث فيها زاهر عن ارتباطه مع مخابرات العدو، وعن أخلاقيات لا يطاق سماعُها. وبعد أن أُشبعوا في الاستماع إلى زاهر، وزاهر راعي غنم لا يصلح للعمالة، لكن تحطمت نفسيته مع جهله وتوريط غيره؛ ثمّ قذف شاباً مِنْ أزكى الشباب، فدعاني الحاج إلى سماع زاهر مِنْ جديد. فبدأ زاهر بروايته يعيدها على مسمعي، وما تحملت

[50] **إياد أحمد أبو حسنة ([1974]–):** ولد في مدينة رفح جنوب قطاع غزة. اعتقل في 1989/3/15، إثر قيامه باقتحام موقع عسكري صهيوني على الحدود بين قطاع غزة والأراضي المصرية. حكم عليه بالسجن لمدة 30 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[51] **مازن محمد النحال (1974–):** من مواليد مدينة رفح. التحق بكلية العلوم في الجامعة الإسلامية. نشط في كتائب القسام وشارك في عدد من عملياتها ضدّ الصهاينة وعملائهم في قطاع غزة. اعتقل في 1992/6/7 والقسامي خميس عقل، إثر إصابتهما في اشتباك مع الجنود الصهاينة، وحكم عليه بالسجن المؤبد أربع مرات وعشرين عاماً. استكمل تعليمه الجامعي في السجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

مواصلة السمع بعد أن قطع شوطاً، لفراستي أنه غير صادق، فاستأذنت من الحاج، وقلت: أتأذن لي أن أردّ عليه، وأن أناقشه فيما قال، فقال الحاج: تفضل، ولماذا دعوناك؟ فابتدأت مع زاهر بحضورهما، وخرجت عن المألوف، وتوجهت إليه بطريقتين من الكلام، مرة: زاهر، يا "شريطة"، ويا "خربان"، ويا "نذل"، ويا "جبان"، أنت راجل؟ أنت لك أم؟ لك أخوات؟ "ولك" لماذا أنت على قيد الحياة؟ انظر يا زاهر إلى الحاج إسماعيل وإلى موسى دودين، انظر إليهما، هما بشر مثلك. اسمع يا زاهر، وقل الحقيقة وأظهر رجولتك، إياك والخوف، فهؤلاء بشر مثلك، واسمع مرة أخرى، هل الذي قلته للحاج أبي حسن صحيح؟ قل يا آدمي ولا تخف، فأجاب: لا والله ما هو بصحيح. فقلت له: ولماذا كل هذا الخوف؟ ورثيت لحاله، وقلت لأبي حسن: يا حاج، يا حاج، ألا يكفي؟ وأن نصبح مضحكة لهؤلاء؟ حرام هذا يا أخي، وانفض المجلس. وبعد حين، وبعد أن فرج الله كرب الحاج أبي الحسن بتحريره من السجن، وأصبحت أميراً للقوم، أمرت بتشكيل لجنة لدراسة هذه الحالات، وبُرِّئَ زاهر وأبو فؤاد وغيرهم. وأن ترفع بلاءً وتنتصر للمظلوم، خير من الدنيا وما فيها، وجاء يوم على الشيخ صلاح شحادة، وعلى أبي حسن تبرّآ فيه من هذا الفعل.

الانطلاقة بصحبة الشيخ صلاح شحادة:

وبعد أيام حضر إلينا الشيخ صلاح شحادة (أبو مصطفى)، في رجعة أخرى لعسقلان، وجمع الله شملنا، وتلاقت أرواحنا وكما قال الشاعر:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

إنّه الشيخ صلاح... صاحب الهمة. وعلى الرغم من أني رياضي من الطراز الأول، وكنت أركض لساعتين، وأمارس اللعب على الحبل، بلياقة قلّ نظيرها، حتى قالوا عني ملك الحبل، لكن الشيخ صلاح أستاذ الكل في الرياضة. ويوم انطلاقة حماس سنة 1996، والحاج أبو حسن أميرنا، خرجنا جميعاً بأمر من الشيخ صلاح، في لباس موحد للساحة بعد عدد الصباح، وقادنا الشيخ صلاح في طابور رياضي ومارش عسكري، يقوم عليه الشهيد أبو رزق العرعير، وهتافات الصاعقة، من المجاهد خالد أبو غليون من الأردن، ولساعة صباحية، ونحن على أعين الإدارة، نحيي انطلاقتنا في رياضة الصباح. وبعد العصر، تحتفل الساحة بانطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وجميع الفصائل تشارك في فقرات الحفل، وترفع شعاراته، وكذلك بوسترات من صنع الأسرى، وقد

تفننوا في إخراجها، وفاجأوا إدارة السجن والحاضرين بهذا الإعداد، وهذا الترتيب، وبالعمل المسرحي الذي نجحوا في إخراجه، ولسان حال الجميع يقول: كيف استطاع هؤلاء الشبان أن يعمّوا على الإدارة كل هذا النشاط؟ وفي لحظة واحدة يخرجون إلى الساحة؟ وعريف الحفل يرحب بالحاضرين، والمقرئ يصدح بالآيات والذكر الحكيم، وكلمة لحماس، وكلمة للفصائل، وأناشيد حمساوية، وسجل يا تاريخ الأمة.

أُمهُ صالحة، والرسالة مع ذي اللحية الحمراء:

وفي يوم من الأيام، كان يعيش معنا شاب اسمه باسل النتشة من بيت لحم، وتنظيمه الجبهة الشعبية، لكنه آثر العيش معنا. وكان مِنْ ضمن صلاحيات الأمن، أن يوزع على العناصر كبسولات، تحتوي على أسرار ومعلومات، والمسؤول عن أمنها الأخ المجاهد مازن النحال، فأعطى مجموعة من الكبسولات للأخ باسل النتشة... ومع خروج النزهة أو "الفورة" تخرج هذه الكبسولات للساحة، خوفاً من تفتيش مفاجئ للغرف. وفي هذا اليوم بعد العصر، والشباب في الساحة، وليس في الغرفة إلا أنا، وإذا بالأخ باسل يدخل عليَّ الغرفة وقد جاءه الفرج، فأخذ يغير ملابسه، ويحضر أغراضه والإدارة تستعجله؛ لأن الوقت يداهمه ويداهمها، وقريب من الغروب. وعندما فتش سرواله الذي خلعه، وإذا بالكبسولات منسيّة في جيبه، فأعطانيها، واحتفظت بها. وانطلق في سبيله، وودع الناس وَمَنْ في الساحة، ونسي أن يقول لهم عن الكبسولات، ونسوا بدورهم أنهم أعطوه ذلك، ففطن الأخ مازن النحال لذلك، وإذا به بصوتٍ عالٍ ينادي: قولوا للشيخ أن يطلب من الإدارة إرجاع باسل، بحجة أنهم لم يودعوه، حتى يسألوه عن الكبسولات، فكان الجواب مني: باسل غادر السجن، والإدارة لا يمكن أن ترجعه حتى لو لم يغادر. وطاش سهم مازن وشعبة الأمن، ومنهم مصطفى رمضان. وحاولوا أن يشوهوا الرجل، وظنوا به الظنون. فأتيت الحاج أبا حسن، وقلت له: سأتعبُ أعصابهم، والكبسولات عندي؛ لأن باسل أعطانيها قبل خروجه، فاسمع وانظر إلى قيل وقال عندهم. وعاشوا على أعصابهم أربع ليالٍ وقد تعبت نفسياتهم.

وفي ليلة من الليالي، وإذا بمصطفى رمضان يرى في المنام أُمَّه، ونحسبها من الصالحات، وكانت تلبس ثياباً بيضاً، فقالت لمصطفى: يا ولدي دعك من الحيرة، وغرضكم عند صاحبك ذي اللحية الحمراء المخضبة بالحناء، وصاحب السرير الأبيض. فجاءني مصطفى وقصّ عليَّ الرؤيا، فوعظته، وقلت له: لا يجوز أن نُسيء الظن، وأن

نلقي الكلام على عواهنه، وأنت يا أخ مصطفى المسؤول المباشر عن الأرشيف. وهو يعلم أني بعد الترحيلات تسلمت الملف الأمني، حتى تستريح الساحة، وحتى يتجدد العمل بروح ملتزمة، وفعلاً ارتاح مَنْ في الساحة إلا في قسم (12)؛ لانقطاعهم عنا. وكان الأخ الحبيب أبو الفضل عبد الرحمن القيق، وهو من غزة، أميراً على القسم، فتسرع هو ولجنة الأمن عندهم، وارتكبوا مخالفة، وتصرفوا على عاتقهم بحق اثنين من الإخوة، وآذوهما إيذاءً شديداً، وحضَّروا ملفهما لزاوية، فهرولت إليهم وقلت: مَنْ خولكم؟ وكيف تتصرفون بلا توجيهات مني؟ ومِنَ اللجنة الأمنية على الخصوص؟ لكن الطلقة التي لا تقتل بتدْوِشْ (يكون لها دَوِيٌّ). وقالوا: إن هذه الملفات كانت جاهزة... واتخذ فيها قرار من قبل، لكني استدركت الموقف، وأثنيتهم عن هذا الإجراء. وعودة للكبسولات فلم أحتفظ بها، بل أعطيتها للأمير أبي الحسن، واستأذنته بعد رؤيا مصطفى لأمه، أن أضعهم في حقيقة ما حصل، فأذن لي، وأتيتهم بالكبسولات، وهدأت أعصابهم، واستقامت الحال، والحمد لله.

رسالة من الشيخ صالح العاروري:

الشيخ صالح في "مجدو"، ونُطلق على "مجدو" قلعة حطين. وكانت البدايات عند الشيخ صالح في معتقل النقب، تنسجم مع الظاهرة السلبية، التي يتبعها التنظيم في شأن التحقيقات، وأخيراً أدرك أن هذه الممارسات في طريقها للإساءة إلى مشروعنا، بل ما يجري ظلم يغطيه الهوس الأمني، وما يحصل في زوايا التحقيق تقشعر له الأبدان، حتى قال لي الدكتور إبراهيم أبو سالم، عن زوايا مجدو: والله لو تعرضت لمثل ما تعرض له مَنْ في الزوايا، لكتبت ألف ورقة اعترافات. وحقاً أساءت، وجميع التنظيمات تجاوزت حدها في هذا الشأن، من خلع الأظافر وإدخال الإبر المحماة تحت الأظافر، وإطفاء السجائر على الجلد، ووضع كتلٍ من الملح في الفم، ما يدعو إلى ضرورة طلب الماء، أو التعرض للموت، كما حصل عند إخواننا في فتح. وكذلك ثَنْيُ الأرجل بالخشب، ووضع الكتل الخشبية بين أصابع الأرجل، والضغط عليها، وقد يستمر هذا نصف شهر، مع قابلية التمديد لنصف شهر آخر، وهذا جرى عند حماس.

هذه الصورة مشتركة بين جميع الفصائل، وبالإضافة إلى تعصيب الأعين طوال الوقت، وعدم النوم والإرهاق، وما يترتب على هذه الحالة، من ضرر على الصعيد

الذاتي، وعلى صعيد العائلات. فكم من أذى لحق بهؤلاء، ومنهم من هو مظلوم، وظُلِمَتْ بناته وأخواته، إذ عزف الناس عن مصاهرة هؤلاء. فبأي ذنب قتلت هذه النفسيات؟

انتقل الشيخ صالح إلى سجن مجدو، وهناك رأى المصائب، ولا بدّ من الحد من هذه الظاهرة، ففيها انتهاك للحرمات، وقتل لمستقبل الأعراض، وهذا نهج لا أدري كيف انحرف بنا، حتى احتوى التنظيم بسطوته، وما يجري غير معقول، وقصة عادل الشحاتيت ذكرتها من قبل.

على كل حال، كتب إليَّ الشيخ صالح من مجدو برسالة، وأخرى كتبها للخارج، لمن يعنيهم الأمر، من قيادات العمل في الخليل والضفة، يشرح فيها ما يجري من تجاوزات خاطئة، ولا بدّ من وقفها وتصحيح المسار، ويطلب مني رضي الله عنه المساعدة من حيث كنت، ومن الخارج لوضع حدّ لكل هذه التجاوزات، والخروج من هذه الحالة المرفوضة.

والحمد لله، جرت حركة في هذا الشأن، ونجح رضي الله عنه في السيطرة على الموقف، وشكَّل لجنة تقصي حقائق، ودراسة للملفات، وأنهى حالة استشرى خرابُها. وكان من الذين عملوا معه الأخوان (أبو بلال) الشيخ طه من قرية مراح رباح، والأخ المجاهد جلال البراغيث من بيت أمر. وبعث إليَّ بعدما خرجت من السجن أن أتولى تبرئة أخ من إخواننا من مدينة الخليل، وهناك وبصحبة الأخ الحبيب النائب أحمد عطون، وحضور الأحباب الكرام في بيت الأخ الحبيب أبو جبير، والأخ الحبيب (أبو همام) محمد جمال النتشة، وعائلة الأخ الذي وقع عليه الظلم، تمت الأمور بحمد الله، وأُعلنت براءته على الملأ. وهذه مسؤولية تنظيمية، وليس للأفراد الذين ارتكبوا حماقات في هذا العمل، أي مسؤولية للملاحقة، ورضي إخواننا وهم كرام، واحتسبوا ذلك عند الله، وخرج مجدو من هذه الحالة إلى غير رجعة. والسجون جميعها تعافت من هذا المرض، لكن هذا لا يعني أن ينام التنظيم عن متابعة الشؤون الأمنية، فلا بدّ من ترشيده، واختيار العناصر الأمنية، والمنهج العلمي الصحيح في عمله، إن أراد الحفاظ على التنظيم.

النسيج الفصائلي لعسقلان:

سجن عسقلان تجتمع فيه جميع الفصائل، والدين في حسابات معظم عناصرها ثانوي وعادة، فهو عند فتح شعائر تعبدية، وقليل جداً مَنْ يعطي هذه الشعائر روحها، ويحافظ عليها في أوقاتها. أما الجانب الاعتقادي، فهو غائب عن أفهامهم، وربما أدرك بعض أفرادهم البعد العقائدي، وقضية الولاء والبراء، لكنهم علمانيون، ولا يهتمون

بالحوار الفكري. وأما الجبهتان، بعد هذا المشوار الطويل، من سقوط الماركسية ككيان، وغيابها كلاعب في السياسة الدولية، على صعيد كل الأنظمة التي شكلت قوةً لليسار... فقد انتهى بهما المطاف إلى التقوقع والاضمحلال، وتوجهتا بعد هذا الفراغ من الولاء العقائدي للشرق، إلى منظمات المجتمع المدني، لدعم مشاريعهما وللحفاظ على كيانهما، من خلال الاحتواء المالي، وإلا فإنهما أفلستا على الصعيد الفكري، وانحصر نشاطهما في اجترار الماضي، حتى قيل عن هذه الفصائل اليسارية إنها "تنظيمات الـ NGOs" أو "تنظيمات المؤسسات غير الحكومية".

وأما حماس والجهاد الإسلامي، فإن الإسلام هو الحاضر القوي في حياتهما، وهو الذي استطاع أن يستقطب كوادر مهمة، من حَملة الفكر الماركسي، وشكل امتداداً ديموغرافياً، حاصر جميع التنظيمات بعمقه العقائدي، وبالأداء الرائع الذي قدمته المقاومة، من خلال الضربات الموجعة للعدو الصهيوني، فميدان المزايدة غيبته الأفعال، والعمل الاستشهادي ترك بصماته، من خلال الدماء والأشلاء.

سجن عسقلان بنسيجه هذا أبقى على علاقات بين الفصائل حبالُها مشدودة، خاصة فيما بين حماس وفتح. ففتح على صعيد قيادة السجن، لم تكن تُحسن أن تُغلِّب المصلحة الوطنية على مصالحها الذاتية؛ لأن المنتفعين من مشروع أوسلو، أصبحت لهم كروش منتفخة، واستثمروا أموال الكانتينا والجامعات، لحساباتهم الخاصة، فما لهم وما للصالح العام؟

على كل حال، نزلنا ساحة عسقلان، وقليل مَنْ تفاعل معنا، وبقيت الأجواء غائمة، إلى أن حضر مَنْ في سجن جنيد من جميع التنظيمات، فتحسنت الأجواء؛ إذ إنّ القادمين كانوا في طينتهم وتربيتهم، لا تظهر على سيماء وجوههم عنجهية "س. أبو ص."، ومن هم على شاكلته، ممن لم يستوعبوا غيرهم، في ميدان العمل الوطني.

نزلنا ساحة عسقلان، ولا عامل لنا في الساحة؛ فالعمال في المطبخ والمغسلة والساحات لفصائل منظمة التحرير، عمال الساحات حكرٌ على فتح، إلى أن جاء مدير جديد للسجن، كان مديراً لسجن الخليل يوم أن كنا هناك، واسمه إسحق غباي، والعلاقة بيننا وبينه قائمة على الاحترام. وأول ما تسلّم الإدارة قام بزيارة للأقسام، وبصحبته أبو ص.، ممثل المعتقل، ودخل علينا غرفتنا فسلم علينا وقدمنا له القهوة، وقمت بتعريفه على أميرنا المهندس إسماعيل أبو شنب. وفي العادة أنني أبجل إخواني أمام إدارة السجن،

وهم كذلك، وقلت لمدير السجن عن أخي أبي الحسن، هذا مهندس كبير، ورئيس قسم الهندسة في الجامعة الإسلامية، وكلمة طيبة من هنا، وكلمة طيبة من هناك، حتى قال أبو ص.: "كمان شوية تجعل المدير يقرأ المأثورات" قلت: ولم لا؟. كان أبو ص. يريد أن يستأثر بالمدير دون أن تكون له علاقة معنا، والمدير جربنا في سجن الخليل، وآمن أن لنا عهداً نحافظ عليه، وكلمة لا نكسرها.

على كل حال، طلبت من المدير عامل ساحةٍ لحماس فوافق، وهذا ما لا يريده أبو ص.، ويعدّه خرقاً للتفاهم الفصائلي. وثمّة أمورٌ أخرى تجاوب معها المدير. والسجن متحرك ولا يهدأ، وبين يوم وآخر فيه إفراجات، وتحصل نقليات من السجن، ومنها غياب أبي ص. عن ساحة عسقلان، وأصبح الحضور القوي لأهل الضفة، وارتاحت الساحة الاعتقالية من انتفاخة أناس، أفئدتهم هواء، وحلَّ التفاهم في الساحة بعد غياب طويل. وكان للأخ زاهر جبرين من سلفيت، الدور الإيجابي في تعزيز العلاقات، ومعه من جانبنا الأخوان المجاهدان محمود مرداوي، وخالد مرداوي[52]، أما من جانب الإخوة في فتح، فكان للأخوين عثمان مصلح (أبي الناجي)، وتوفيق العبد الله (أبي إبراهيم)، الدور الذي يقدر لهما، وهو دور محترم وإيجابي... بل إن أبا إبراهيم توفيق توطدت علاقتنا به، وهو لنا أكثر منه لفتح، وما ترك كتاباً لسيد قطب، وعلى الخصوص الظلال إلا قرأه..

محاولة الهرب:

بينما أنا في الساحة في فورة الصباح، وإذا بالأخوين ماجد أبو قطيش، ومحمود عيسى، يحيطانني عن اليمين وعن الشمال، وقالا لي: مِنْ أين نبدأ الحديث معك؟ فقلت: تَفَضَّلا ويومها كنت الأمير، وبأريحية تحدثا، فأنا بمقام الوالد لكما. ومن حسن أدبهما، أي والله، ولا مجاملة في هذا الأمر، ويكررها ماجد: أنت أعز علينا من أبوينا. الله أكبر فهذا أدب لا يبارى —حفظهما الله وفرج كرب محمود— قال ماجد والبسمة تلازمه: نريد أن نهرب من السجن، قلت: بكل هذه البساطة، قالا: نعم، وكيف؟ قالا: نريد غرفة 4، ومن داخل دورة المياه نحفر نفقاً في الأرض، يؤدي بنا إلى خارج سور السجن. فكرت في الأمر ملياً، وقلت في نفسي هذا من حقهما، وحقّ جميع المؤبدات، ولا جديد يلوح في

[52] **خالد عبد الرحمن مرداوي (1965–)**: ولد في قرية حبلة جنوب قلقيلية. اعتقل في 1992/8/28، وحكم بالسجن المؤبد ثلاث مرات وأربعين عاماً. متزوج وأب لبنت. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

الأفق، ولا يكفي أن أكون أميراً، فالمستشار مؤتمن وناصح، فقلت لهما: اسمعا مني جيداً، غرفة 4 لا تصلح؛ لأنها قريبة من الباب الرئيس للسجن، لكن تمهلا لأسبوع أو أسبوعين لأقصى حدّ؛ لأننا في الطريق إلى غرفة 2، وقد طلبنا من الشعبية أن تفرغها لنا، وأبدوا موافقتهم، عندها أسهل لكم في اختيار عناصر الغرفة، ومن تريدونه معكم، ودون أن يكون هناك انتباه، أو لفت نظر، فقالا: هذا في السليم، لكن استعجل لنا الأمر، فقلت: صبرتم كثيراً، فاصبروا قليلاً.

وجاء اليوم الذي خرجت فيه عناصر الشعبية من الغرفة، ووقع الاختيار لنزلاء هذه الغرفة على أهم الرجال، الذين دوخوا العدو وأوجعوه، وأحكامهم بالمؤبدات، ونزل اثنان من الإخوة الكرام، من ذوي الأحكام الخفيفة، حتى يشاركوا في الجهد. وقبل ساعة الصفر، يحل مكانهما أخوان من ذوي الأحكام العالية، وهما عبد المعين المسلماني (أبو آدم)، وهو من أشد الرجال، والحبيب المجاهد بشار الكرمي، شقيق الشهيد نشأت الكرمي. نعم وقع الاختيار على محمود عيسى، وماجد أبو قطيش، وموسى العكاري، ومحمود عطون، ومروان أبو ارميلة[53]، وخليفة الصغير المبروك، وموسى دودين، وتيسير سليمان[54]، وأيمن أبو خليل، وعبد الناصر عيسى، وسلامة مرعي، وهارون ناصر الدين الذي أخرنا نزوله، وهو بديل عن الأخ بشار، والأخ جميل مسك. واستثنينا الأخ زاهر جبرين الناطق باسم حماس، إلى أن تحين ساعة الصفر، وحجبنا عنه العملية حتى لا يشغله هذا عن واجبه، أو خوفاً عليه من كلمة غير محسوبة، لا يلقي لها بالاً... تخرج منه للأخ أبي الناجي، ممثل المعتقل ووجه فتح في الساحة؛ ولأن بينهما عاطفة من الصداقة قد تدفعه للبوح إن علم بالأمر، فبقي ذلك خفياً عليه. وقد تفاجأ لاحقاً لما فشلت

[53] **مروان محمد أبو ارميلة (1971–):** أسير مقدسي من سكان بلدة الرام شمال القدس، متزوج وله ولد. نشط في كتائب القسام منذ مطلع سنة 1993 حيث انضم لمجموعة القدس وشارك في عملياتها. في 1993/9/12 حاول أن يفجر نفسه من خلال تفجير عبوة ناسفة في حافلة صهيونية، لكنها لم تنفجر بسبب خلل فني وعاد سالماً. اعتقل في 1993/9/30، وحكم عليه بالسجن المؤبد وعشرين عاماً بتهمة المشاركة في خطف جندي صهيوني وقتله. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

[54] **تيسير حمدان سليمان (1973–):** أسير مقدسي ولد في بيت حنينا. انتسب للجهاز الأمني لحركة حماس (مجد) ولاحق عدداً من العملاء خلال عمله في الجهاز. قيادي في كتائب القسام والمنسق بين مجموعات القسام في الضفة الغربية وقطاع غزة. قاد مجموعة القدس التي شاركت في عدد من من عمليات إطلاق النار والخطف واقتحام المستوطنات، اعتقل في 1993/9/29، وأفراد مجموعته فهد الشلودي، ومروان أبو ارميلة، وحكم بالسجن المؤبد و60 عاماً. شارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن، وشغل عضوية مجلس الشورى العام لأسرى حركة حماس. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

العملية، وعتب علينا، فقلنا له: أنت من القوم ونصيبك موفور وأنت محسوب على ذلك، لكن ظروف عملك لا تسمح أن تكون على بيّنة واطلاع.

توجه إليَّ الأخ موسى دودين، وقال: خذ البيعة من الجميع، قبل أن ينطلقوا، فقلت له: المهم أن تنجح الأمور، وأن يوفق الله إخواننا.

فنزلوا الغرفة، واختاروا دورة المياه، وخلعوا بلاطة (30 سم×30 سم) دون المساس بها، وبدأ الحفر، ونزلوا أرضاً، وتمكنوا من الحفر لستة عشر متراً.. والتراب كثير، واستعانوا بأكياس من وجوه الفرشات، لتخبئة التراب خوفاً من التفتيش، وفيهم كذلك الحوت جميل مسك، والذي شارك في هروب "الخليل". وأخذت عليهم: كم من الوقت يستغرق هذا الشغل؟ فقالوا: من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، وتحملنا ذلك على أعصابنا، وكان في تخطيطي إن نجح الأمر، أن أفتح شباكاً ما بين الغرفتين 2و3، لأنهما في الأساس لنا، وآتي بحسن سلامة[55] من قسم (12)، بحجة مشكلة، ويكون ضمن الخطة، كي تنهار حكومة الاحتلال بعد نجاح هذا الحدث، لكن تصريف التراب مشكلة، ولو أنه رمل لصُرّف مع الماء، أما التراب فقد حاولوا إذابته من خلال دورة المياه، وإذا بالمجاري الخارجية تطفح بالماء، وبعد الفحص تبين أن التراب قد أغلقها، وبعد البحث اكتشفت الإدارة المشروع، واستنفرت وأعلنت حالة الطوارئ، ورحّلت الغرفة. وانتهت قصة الهرب، لكن لم ينته التفكير في عملية هروب أخرى، وقد جددها من بعد الأخ المجاهد عبد الحكيم حنيني، وهو المسؤول والقائد عن زاهر جبرين، وزاهر هو المسؤول عن الشهيد يحيى عياش، فالأخ أبو حذيفة عبد الحكيم، نجح وإخوانه في سجن شطة سنة 1998، من حفر خندق ونفق من تحت غرفة 16 قسم (17)، حتى وصلوا إلى الشارع العام، ولولا الكلاب التي نبّهت الحارس البدوي بنباحها، ما اكتشف أمرهم. وقد خرج أولهم وأظنه المجاهد عباس شبانة، لكن فشلت العملية بعدما وصلت اللقمة للفم، وهي عملية تصلح أن تكون فيلماً سينمائياً.

[55] **حسن عبد الرحمن سلامة (1971–):** ولد في مخيم خانيونس لعائلة هجرت من بلدة الخيمة سنة 1948، أحد نشطاء كتائب القسام الأوائل. غادر لمصر بعد مطاردته من قبل الاحتلال لكنه عاد من جديد بعد تأسيس السلطة الفلسطينية فكان مصيره أن اعتقل فوراً. رافق الشهيد يحيى عياش وكلف من قبل القائد العام محمد الضيف بمهمة الثأر لاستشهاده. انتقل للضفة الغربية فخطط وجهز لثلاث عمليات استشهادية ضخمة عرفت بعمليات "الثأر المقدس". أسس والشهيد محيي الدين الشريف خلية عسكرية لاختطاف جنود صهيونية. اعتقل مصاباً بعد اشتباكه مع حاجز صهيوني مفاجئ في مدينة الخليل يوم 1996/5/17، وحكم بالسجن لمدة 48 مؤبداً وعشرين عاماً. يعيش معظم حياته في السجن في العزل الانفرادي.

وجددها كذلك ولداي الحبيبان محمد الرشق، ونزار رمضان[56]، من تِل قضاء نابلس مرة أخرى، ونجحا في الفرار في عملية جريئة تحتاج إلى إخراج سينمائي... لكن هذه ليست من تحت الأرض... وإنما هي بالحبال، بعدما جدلاها داخل السجن وربطا بها خطافاً، ورميا بها إلى سور السجن مع ساعة الإفطار، في رمضان سنة 2002، وانطلقا بسرعة مشياً على الحبال، واكتشف الأمر وطوردا حتى وصلا إلى شاطئ البحر، حيث اعتقلا وعُزلا، وهما من خيرة من أحببت من إخواني.

استشهاد المهندس الأول:

بتاريخ 1995/11/4 قُتل رابين، وكانت أمنيته أن يغتال المجاهد المهندس (أبا البراء) يحيى عياش رضي الله عنه قُتل رابين وبخاطره قتل يحيى. ولكن هيهات، فيحيى الذي دَوخهم بعملياته وزعزع أمنهم، ودبّ الذعر في مجتمعاتهم، وحرم عليهم أن يركبوا الحافلات... فرض عليهم منع التجول، وينام أحدهم وهو فزع، ويمشي وهو فزع، ويركب الحافلة وهو فزع، وخيّم عليهم الموت قبل أن يموتوا، وهم أحرص الناس على حياة.

وبعد مقتل رابين بشهرين على التمام، استشهد يحيى عياش بتاريخ 1996/1/5، بعد مطاردة طويلة؛ ابتدأت من قريته رافات قضاء سلفيت، ومحيطها، فنابلس وقراها، ورام الله وقراها، وبيت لحم وقراها، والخليل وقراها، ونجح في الوصول إلى غزة. واحتضنته غزة من شمالها لجنوبها، وتتلمذ على يديه رجال منهم عبد الناصر عيسى، وحسين هاني السرطاوي، والشهيدان صالح تلاحمة[57]، وحسنين رمانة[58]، وآخرون لا أعرفهم.

---

[56] **نزار محمد رمضان (1975–):** ولد في قرية تِل قضاء نابلس. حاصل على دبلوم الشريعة من الكلية التطبيقية في غزة. ناشط قسامي نفذ عملية قرب مستوطنة يتسهار في أيلول/ سبتمبر 1998. اعتقل في 1998/10/20 وحكم عليه بالسجن مؤبَدين وعشرين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطر.

[57] **صالح محمود التلاحمة (1966–2003):** ولد في قرية البرج أحد قرى قضاء الخليل، تخرج من كلية الهندسة في جامعة بيرزيت سنة 1993 وزامل فيها الشهيد يحيى عياش. متزوج وله خمسة أبناء. اعتقل في سجون الاحتلال الصهيوني سنة 1993، وفي سجون السلطة الفلسطينية سنة 1996. خرج من سجون السلطة بعد انطلاق انتفاضة الأقصى، ونشط في كتائب القسام وعمل مع الشهداء يحيى عياش وعادل وعماد عوض الله. أسهم في تجهيز وإعداد عدد من عملياتها، استشهد وأخوه سيد الشيخ قاسم في اشتباك مسلح على أرض رام الله فجر 2003/12/1.

[58] **حسنين حمدي رمانة (1969–2003):** ولد في مخيم الأمعري قضاء رام الله، متزوج وأب لخمسة أبناء. إمام وخطيب مسجد أبو عبيدة في البيرة. شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى وأصيب فيها. انتمى لحركة حماس وكان له دور قيادي في كتائب القسام، ومسؤول عن عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني، اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال وفي سجون السلطة الفلسطينية لنشاطه هذا. بعد اندلاع انتفاضة الأقصى وخروجه من سجن السلطة طورد للاحتلال إلى أن استشهد في 2003/12/1، بعد معركة مع قوات صهيونية حاصرت المبنى الذي تواجد فيه في مدينة رام الله وانتهت بنسف المبنى.

إنها مدرسة العياش ورائدها يحيى، الذي مَرَّغ أنف العدو في الوحل، وحطم كبرياءه، وزلزل الأرض من تحت أقدامه. ولئن ظنّ العدو أنه قد أتى على المقاومة باستشهاد يحيى، أو أوقف زحفها، فهو واهم، حتى وإن كانت ضربة موجعة؛ لأن هذه الأمة نضجت فلا تعرف إلا العطاء، ولأن هذه الأمة في أسوأ ظروفها ما عقمت، فالعطاء ديدنها، والدماء في سبيل الله ما أرخصها، وبها يعلو البناء، وتحيا الشعوب.

إن الشعوب لا تبعث فيها الحياة إلا بدماء أبنائها، وإن الدماء من يحيى هي المحيا، وإن هذه الضربة لن تمر بلا عقاب، فالثأر على الأبواب، وسيكون موجعاً ومزلزلاً. وجاء الثأر من المجاهد القسامي حسن سلامة، جاء الرد والثأر مزلزلاً ومجلجلاً. ونجح حسن في اجتياز الحدود، ما بين قطاع غزة والضفة الغربية، مروراً بالأرض المحتلة سنة 1948، وقد هرَّب معه ما استطاع من المتفجرات والعبوات الناسفة، وقام على نقلها إلى القدس والخليل. ورحبت به القدس والخليل وكل الضفة الغربية، واحتضنه القساميون ووجدوا فيه بغيتهم، وشكّلوا له شبكة أمان بقيادة الشهيد المجاهد عادل عوض الله. وكان عادل حريصاً كل الحرص، كما ذكر لي، على سلامة حسن سلامة وأمنه. ومن الذين قاموا على أمنه وإيوائه الحاج رزق الرجوب، وهو نِعم المجاهد، ونوّارة آل الرجوب، كما سبق أن قلت ذلك للشيخ نايف الرجوب.

جاء حسن إلى القدس، والتقى المجاهدين من كتائب القسام أيمن الرازم[59]، وأكرم القواسمي[60]، وسامي أبو الحلاوة، ومأمون الرازم؛ هؤلاء جميعاً شكلوا دعماً لوجستياً للمجاهد حسن، ورصدوا له المواقع، واختار لهم القسامي محمد أبو وردة[61]

---

[59] **محمد أيمن نظمي الرازم (1972–):** ولد في القدس. تجند وأكرم القواسمي في كتائب القسام كـ"خلية نائمة". تمّ تفعيلها إثر القرار بمغادرة الأسير حسن سلامة قطاع غزة للرد على اغتيال المهندس يحيى عياش، وقدمت دعماً لوجيستياً للمجاهد سلامة في عمليات "الثأر المقدس" وهو من أوصل الاستشهادي مجدي أبو وردة لهدفه في الباص رقم 18 في القدس المحتلة. اعتقل يوم 1996/3/26، وحكم عليه بالسجن المؤبد مرتين. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى دمشق.

[60] **أكرم إبراهيم القواسمي (1974–):** ولد في القدس، تجند وأيمن الرازم في كتائب القسام كـ"خلية نائمة". تمّ تفعيلها إثر القرار بمغادرة الأسير حسن سلامة قطاع غزة للرد على اغتيال المهندس يحيى عياش، وقدمت دعماً لوجستياً للمجاهد سلامة في عمليات "الثأر المقدس"، وهو من أوصل الاستشهادي إبراهيم السراحنة إلى هدفه في عسقلان. اعتقل في 1996/3/28، وحكم عليه بالسجن المؤبد مرتين.

[61] **محمد عطية أبو وردة (1976–):** ولد في مخيم الفوار جنوب الخليل لعائلة هجرت سنة 1948 من قرية عراق المنشية. التحق في كلية التربية بمعهد المعلمين في مدينة رام الله، وترأس الكتلة الإسلامية في المعهد. جند استشهاديو "الثأر المقدس" محمد أبو وردة، وإبراهيم السراحنة، ورائد الشغنوبي. اعتقل في سجون السلطة إثر عملية الشهيد رائد، وكان ذلك يوم 1996/3/4. وبعد التحقيق قضى ما يزيد على الخمس سنوات في سجونها إلى أن خرج مطلع انتفاضة الأقصى. تزوج في سنة 2002 وعاش وزوجته مطاردين إلى أن اعتقل يوم 2002/11/4، وحكم بالسجن المؤبد 48 مرة. ولد ابنه حمزة بعد اعتقال والده. اعتقلت زوجته نورة الجعبري في 2012/10/13، وأطلق سراحها في 2013/12/28.

الاستشهاديين الذين انتظروا هذه اللحظة طويلاً، وتحققت لهم أمانيهم، ففازوا بالشهادة، وهم مجدي أبو وردة[62]، وإبراهيم السراحنة[63]، ورائد الشغنوبي[64]، وموسى غنيمات[65]. وعلى أثر هذه الضربات الموجعة، قامت قيامة الصهاينة، وألّب شمعون بيريز العالم على حربنا، واجتمع في شرم الشيخ أكثر من 30 دولة في مواجهة مع حماس، لتجفيف مواردها المالية، وشنوا حرباً على كل البنوك التي تتعامل معها. وقاموا بحملة اعتقالات في صفوفها شاركت فيها سلطة أوسلو الفلسطينية. وتعرض رجالنا للتعذيب بما لا يطاق، وأقعدوهم على "القناني" ونتفوا منهم الحواجب واللحى. وكان يقود جهازي الأمن الوقائي في الضفة والقطاع حينذاك: جبريل الرجوب ومحمد دحلان.

يقول المجاهد القسامي أيمن الرازم (فرج الله كربه في صفقة وفاء الأحرار): لمّا قررنا الانتقام للشهيد المهندس يحيى عياش، قال الإخوة ومنهم حسن سلامة: أين الهدف؟ قلت لهم: باص رقم 12 في الساعة السادسة صباحاً، حيث يكون الجنود في طريقهم إلى ثكناتهم، فكان، وكان الثأر بالغاً. ولما جهزنا للعملية الثانية، قالوا: أين؟ قلت لهم: بإصرار وتحدٍّ بالغين في الباص نفسه، وعلى الخط نفسه، وأخذت الاستشهادي حتى ركب في الباص، وكان الرد مدوياً وموجعاً وصاعقاً.

ولما نفذ الشهيد إبراهيم السراحنة عمليته في محطة للجنود، بالقرب من سجن عسقلان، وقد سمعنا صوت الانفجار من بعيد، يقول المجاهد القسامي أكرم القواسمي:

---

[62] **مجدي محمد أبو وردة (1977–1996):** ولد في مخيم الفوار جنوب الخليل لعائلة هجرت سنة 1948 من قرية عراق المنشية. فجر نفسه في عملية استشهادية استهدفت الباص رقم 18 في القدس المحتلة، جاءت ضمن سلسلة من العمليات التي جاءت للرد على استشهاد المهندس يحيى عياش "الثأر المقدس"، وكان ذلك يوم 1996/2/25.

[63] **إبراهيم أحمد السراحنة (1971–1996):** ولد في مخيم الفوار جنوب الخليل، اعتقل لنشاطه في حركة حماس، فجر نفسه في عملية استهدفت تجمعاً لجنود صهاينة في عسقلان ضمن سلسلة من العمليات جاءت للرد على استشهاد المهندس يحيى عياش "الثأر المقدس"، وكان ذلك يوم 1996/2/25.

[64] **رائد عبد الكريم شغنوبي (1979–1996):** ولد في قرية برقة شمال مدينة نابلس، والتحق بدار المعلمين في مدينة رام الله ونشط في كتلتها الإسلامية. فجر نفسه في عملية استشهادية استهدفت الباص رقم 18 في القدس المحتلة الذي سبق للكتائب أن استهدفته بتفجير آخر قبل أسبوع. وجاءت العملية ضمن سلسلة من العمليات جاءت للرد على استشهاد المهندس يحيى عياش "الثأر المقدس"، وكان ذلك يوم 1996/3/3.

[65] **موسى عبد القادر غنيمات (1969–1997):** ولد في قرية صوريف قضاء الخليل، متزوج وله أربعة أولاد. انتمى إلى خلية صوريف، إحدى خلايا كتائب القسام، وشارك في عدد من عمليات الخلية وأبرزها اختطاف الجندي شارون إدري Sharon Edri، الذي أُخفيت جثته شهوراً طويلة، إلى أن استطاع جهاز الأمن الوقائي الفلسطيني الكشف عن مكان تواجده وتسليمه للاحتلال مجاناً. استشهد بعد انفجار عبوة أراد تفجيرها في مطعم صهيوني في تل أبيب، وجرح عدد كبير من الصهاينة نتيجة الانفجار يوم 1997/3/21.

ونحن في الطريق إلى مكان العملية، وإبراهيم يقول لي: أسرع لا أريد للشهيد مجدي أبو وردة أن يسبقني إلى الجنة؛ ولأن ميعادها في الساعة نفسها من الصباح.

الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين سنة 1997:

بعد صلاة الصبح بقليل، وإذا بالأخ أبو درويش الأسطة ينادي من غرفة 8 المجاورة علينا: هل سمعتم الخبر؟ وواصل حديثه: لقد تمّ الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، الحمد لله. وكيف تمّ ذلك؟ وبدون سابق إنذار. وتوجه الناس للأخبار، وتابعوا أحداث الصفقة خبراً خبراً، وعلم الأسرى أن محاولة فاشلة قام بها الموساد لاغتيال المجاهد خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحماس، وأن المحاولة عن طريق حقنه بمادة سامة من خلال جهاز خاص. ونجح الحارس الشخصي لأبي الوليد أن يلحق باثنين من رجال الموساد ويشتبك معهما، ومع حضور شرطة من الأمن الأردني، اعتقل الجميع، وتبين تورط الموساد في ذلك. وعلم الملك حسين بحقيقة الأمور، وأن ما جرى على الأراضي الأردنية، بعد الصلح الذي تمّ بين الدولتين، لم تحترمه "إسرائيل"، ومتى احترمت "إسرائيل" عهداً؟ فقامت قيامة الملك، ولجأ الأفراد الباقون من خلية الموساد إلى السفارة الإسرائيلية وحوصروا هناك. ودخل على الخط أريل شارون Ariel Sharon، بأمر من رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu، وجاء للبلاط الملكي لحل الأزمة. واستعدت "إسرائيل"، بعرض منها، مقابل الإفراج عن رجال الموساد أن تفرج عن الشيخ أحمد ياسين، لكن أصر الملك إلى جانب ذلك أن يحضر الترياق أو المضاد الحيوي للسم، وفعلاً حصل الملك على ما يريد.

المهم خرج الشيخ ياسين من السجن بطريقة مشرفة، لأنه قال من قبل: لو ساوموني على أكل شريحة من البطيخ مقابل أن أخرج لما قبلت، والحمد لله الذي أعزه.

خرج الشيخ على متن طائرة عسكرية أردنية، وبصحبته مرافقه المجاهد رائد البلبول، من بيت لحم. واستقبله الملك حسين في المطار، ونقل إلى مستشفى المدينة الطبية الملكية، وعولج هناك، وعلى سرير آخر كان يعالج أبو الوليد خالد مشعل، وخرج هذا بسبب هذا، وسبحان الله العظيم. وجاءه الرئيس عرفات زائراً ومهنئاً بسلامته. وبعد أن أُجريت للشيخ ياسين الفحوص الطبية وتماثل للشفاء، وغادر الأردن إلى أكثر من عاصمة عربية وإلى إيران، واستقبل العالم الجليل، والمجاهد الكبير، والمؤسس

لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، استقبالاً يليق بمقامه، وحظي المجاهد، الذي سخر من الاحتلال واستعلى عليه، باحترام كبير في جميع الدول التي زارها.

ويقول داني ياتوم Danny Yatom الذي رأس الموساد سابقاً، وأصبح عضواً في الكنيست الإسرائيلي عن حزب العمل Labor Party، لو أن الملك حسين أصر على جميع مَنْ في السجون، مقابل رجال الموساد لخضعنا لطلبه. ولكن كما يقولون: "حسابات القرايا مِشْ زَيّ [ليست مثل] حسابات السرايا"، وكان داني ياتوم هذا قد اسودّ وجهه بسبب عملته هذه، ورفض الملك استقباله طيلة تلك الفترة.

مشكلة عند فتح:

الساحة الاعتقالية لا تخلو من المشكلات، ولكن من خلال الأيام الطويلة يتأقلم السجناء، وتتروض النفوس على استيعاب بعضها بعضاً، ومع وجود نظام العقوبات، واللائحة الداخلية التي تحكم العلاقات. ومن خلال المتابعة الإدارية، تبقى المشكلات محاصرة؛ لأن كثرة المشكلات في السجن تتعب الأعصاب، والسجين مع الزمن أهم ضرورياته الهدوء.

والتنظيمات داخل السجن مزيج من أبناء الوطن، وأبناء المناطق تجمعهم القرابة والبلديات، وكلٌ يحن إلى محيطه؛ فأبناء القدس تجمعهم عاطفة القدس، وعلى الخصوص أبناء التنظيم الواحد. ولأبناء القدس، برمزيتها، خصوصية مع عاطفة الانتماء للقدس، لم أجدها بين أبناء المناطق الأخرى.

شباب حماس مع العاطفة التي بينهم، بدافع الأخوة الإيمانية والانتماء للقدس، علاقتهم مع أبناء القدس من التنظيمات الأخرى، يظللها الانسجام، فأبناء فتح، وحماس، والجبهة الشعبية، والديمقراطية، من أبناء القدس، يتفاعلون فيما بينهم كأنهم أبناء تنظيم واحد... فعلاً هو تنظيم القدس... وبينهم عاطفة تقوم على الاحترام. هذا ما عشته، وأبناء فتح من القدس ينظرون إليّ كوالد لهم، وما انقطع التفاعل بيننا في معظم الأحيان، نحن نشكل عامل تهدئة في السجن.

وحتى أُنصف البقية من المناطق الأخرى: رام الله، والخليل، وجنين، ونابلس، فالاحترام موجود والعمل من أجل الجميع يقدره السجناء. وقد نضجت السجون بعد عهد من التعبئة الخاطئة، وزالت الحواجز التي افتعلتها الجاهلية التنظيمية، والتعصب التنظيمي الممقوت.

فيما سبق، لا يمكن لشاب من فتح، أو أيّ فصيل آخر، أن يترك العيش مع تنظيمه إلى العيش عند حماس على الخصوص، إلا بعد مشكلات تصل إلى العراك والضرب، أما اليوم، فالحرية في الاختيار قائمة على الاحترام. ومن حماس في السنوات الأخيرة من تركها وذهب إلى فتح، والناس أحرار في هذا، واتركوهم لفطرتهم، وقد قال الله سبحانه في حرية الاعتقاد: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[66]، ولا يضبط هذا المزاج إلا الولاء.

أتيت بهذه المقدمة؛ لأن ظروف السجن عجيبة وتقلباته مزاجية، وفي السجن "شللية" وبلديات. فأهل نابلس داخل السجون يتميزون بالشللية، وقد يشكلون تنظيماً داخل التنظيم، هذا عند الإخوة في فتح، وتثور المشكلات على هذه الخلفية. حتى خارج السجن أيام الثورة الفلسطينية في سورية ولبنان، ثارت النعرة بين خليلي ونابلسي، واحتكموا للسلاح في معسكرات الثورة.

ولافتقار فتح لأيديولوجية، تجمع الناس على أصولها، كما هو العكس عندنا في بنياننا على العقيدة الإسلامية، وعند الجبهة الشعبية التي تقوم على الفكر الماركسي فقلما تجد مشكلات؛ لأن لكلا الفكرتين أثراً في تربية النفوس وضبط السلوك.

أما فتح، فقد حصلت مشكلة في ساحة السجن في عسقلان بين ثلاث من البلديات، سببها أن التنظيم استدعى شاباً من القدس، واسمه واصف اللو، إلى مكتبة السجن، لمراجعته على خلفية مشكلات داخلية، من ورائها المزاج البلدي. وفي المكتبة، اجتمع عليه أفراد باسم التنظيم من رام الله وجنين، فاعتدوا عليه بدلاً من المراجعة، وأوجعوه ضرباً، رسالة إلى شباب القدس في التنظيم أن كل من يخرج على التنظيم فهذا هو مصيره.

ولما خرج الأخ واصف من المكتبة مضروباً، انتصر له شباب القدس من فتح كذلك، وهم من دفعوا بواصف أن يجلس إلى التنظيم، وفي ظنهم أن الأمر لا يتعدى المراجعة الكلامية، وأنه لن يخرج إلى الضرب. فتفاجأوا بذلك، فعلت الأصوات في الساحة، واختلطت الأوراق، وتشابك الفريقان بالأيدي، فمنهم من كسرت يده، ومنهم كسر فكه، بقبضة يد من (أبي إياد) صب لبن، واستمر العراك نحو ربع ساعة، وإدارة السجن تتفرج دون أن تطلق صفارات الإنذار، أو تعلن حالة الطوارئ. فنادى مَنْ في الساحة على الشيخ أن ينزل، فطلبتُ من إدارة السجن أن أنزل من غرفتي للساحة. ومَنْ في

[66] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 256.

الساحة طلبوا من المدير أن أنزل إليهم. وفعلاً نزلت إلى الساحة، وطلبتُ من مدير السجن أن يعطيني فرصة للتحرك بين الغرف والأقسام، وهدأنا من روع الناس، وقد انحاز الجميع إلى الهدوء. لكن المشكلة أن شباب القدس موزعون في سكنهم على عدة غرف، فيها إخوة من رام الله وجنين. فذهبت إلى الأخ (أبي الناجي) عثمان مصلح، وهو ممثل المعتقل وموجه عام فتح، وإلى مَنْ معه من قيادة التنظيم، وأخذت عليهم أن يتركوا لي فرصة للحل والصلح، فوافق الإخوة مشكورين. وقد صمموا على رحيل شباب القدس من السجن، وبالطبع بطلب من إدارة السجن، لكن قلت لهم: حلّ المشكلة أولاً، وطردهم من السجن لا يحل المشكلة؛ لأنها ترحيل للمشكلة، وستُفجر الأوضاع في سجون أخرى. وفعلاً، ترووا في ذلك، وأتيت بشباب القدس من فتح إلى غرفة رقم 2، بعد أن أخليتها من شباب حماس، إلى حين انتهاء المشكلة، حتى لا يبقى احتكاك داخل الغرف. وشكلنا لجنة تحكيم، وأصر تنظيم فتح على عقابهم، وأبدى شباب القدس موافقتهم على أي إجراء تنظيمي، وقبلوا العقوبة. وفي تقديري أن من وراء العقوبة كسراً لمعنويات هؤلاء الشباب، وهم رجال فيهم أحكام عالية ومؤبدات، منهم: يوسف الخالص، وأبو إياد صب لبن، ومازن علوي، وفواز بختان، وانتماؤهم للقدس ووطنيتهم لا يزايد أحدٌ عليها. ولم يكتفوا بعقوبة الجلد، بل أخرجوهم من ساحة السجن إلى غرفة خارجية، على طريق الترحيل من السجن، وتعاملوا معهم بالقطيعة. ولولا أنني كنت أزورهم يومياً، وأتضامن معهم في عزلتهم هذه، لكانت ظروفهم قاسية. وأخيراً رُحِّلوا، وقد جاءني قبل الرحيل عمال مطبخ من شبابنا فقالوا لي: مسؤول المطبخ، وهو من فتح، يريد أن يعاملهم كالمدنيين في الطعام، وأن يحرمهم من حقهم في اللحوم والدجاج، فقلت لعاملنا: اذهب إليه وقل له: إن حصتنا في الدجاج لهؤلاء الشبان، ولما وصلت الرسالة، تراجع مسؤول المطبخ.

صيام رمضان:

الصيام في السجن أو خارجه لذيذ، لكنه ألذ خارج السجن؛ لأنك مع أهلك وأبنائك وذويك من القربى والرحم. كما تعودنا على صيام رمضان مع آبائنا وأمهاتنا، فهذا جوّ يضفي شعوراً من الألفة والتراحم. أما الصيام داخل السجن، فمن الناس من ينتظرونه بشوق، ومنهم من هو ثقيل عليهم، ويودون لو يصومون رمضان خارج السجن، لكن هذا هو الموجود، من أين نأتيك برمضان خارج السجن؟

الصيام تنتظم فيه الحياة، ويخيم جوّ من الهدوء والسكينة، ويقوم السجناء لسحورهم، ومنهم من تكفيه تمرات مع الماء، ومنهم من لا تكفيه تمرات ولا "قعرات" في مصطلح المساجين، وعند الإفطار كذلك. لكنها أيام عامرة بقراءة القرآن والذكر والاستغفار، ويجلس الناس في الغرف لقراءة المأثورات قبل الإفطار، ويتناول الدعاء على مدار الشهر كل مَنْ في الغرفة على الدور. وتتميز العشر الأواخر من رمضان بإقبال شديد على النوافل، في الصلوات، والأدعية، وحتى الاعتكاف، فمنهم من يعتكف في سريره، وشعاره: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾[67]. ويحيون ليلة السابع والعشرين، وهي ليلة القدر، ومن الناس من يحيي الليالي الوتر من العشر الأواخر... ومن الناس من يختم القرآن عن ظهر قلب ليلة السابع والعشرين وحدها، وقد تعوّد على ذلك.

يأتي العيد ويفرح السجناء بالعيد، والدعاء فيما بينهم: تقبل الله طاعتكم، والعيد القادم عند أهلك وفي بيتك وبين ذويك. ويصلي الناس صلاة العيد، ويخطبهم الإمام، وحسب كل خطيب، فمنهم من يرطب الأجواء، ويدخل الفرح والسرور على الناس، ومنهم مَنْ يُذيقهم ألم الفراق، ويثير فيهم الأحزان. وكان الأجدر به أن يبقي على العيد بهجته، حتى ولو كان داخل السجن.

أتت الأيام الستة من شوال بعد عيد الفطر، وجاء دور صيامها في غرفٍ كاملة، إلا أن بعض الغرف كانوا يقصرونها على صيام الإثنين والخميس، ومن الناس كالأخ حافظ الدبل من غزة، وأصوله تعود ليافا يقول: رمضان وعرفة ولا أزيد.

في رمضان يقل التفتيش (تفتيش إدارة السجن للغرف كإجراء يومي أو أسبوعي)، والإدارة أحياناً تُراعي فريضة الصيام، ومنهم من يحترمها... والتقيت مدير السجن، وبيني وبينه احترام، كان يصوم الإثنين أو الخميس، واسمه سمحون.

أما بعد رمضان، فتعود الممارسة الشرسة من الإدارة إلى سيرتها الأولى، من التفتيش وقلة المراعاة. ومرة دخلوا علينا ونحن صيام في الأيام الستة، وقاد الحملة ضابط برتبة رائد واسمه خطيبي، وفوجئنا به مع الصباح في الغرفة، وهي غرفة 9 قسم (2) فقلت له: نعم يا خطيبي، فقال: تفتيش، فقلت له: ارجع من حيث أتيت، فنحن صائمون، فقال:

[67] **القرآن الكريم**، سورة مريم، آية 26.

انتهى رمضان، قلت: نعم، ولكن هذه الأيام تابعة لرمضان، ومتى انتهينا من صيامها تأتي للتفتيش، وغُلب على أمره ورجع.

سلطان وأبو الحسن هدوان:

وفي هذه الغرفة، كان معنا من نحسبهُ شهيداً عند الله الحاج محمد حسن أبو هدوان، رحمه الله، وهو من القدس، فقد كان فتحاوياً فتركها ولحق بنا. أما أبناء مجموعته، فقد أفرج عنهم مع حُسن نوايا "إسرائيل" للسلطة الفلسطينية، وأما هو، فلم يحالفه الحظ عقاباً له؛ لأنه اختار حماس، فلبث في السجن إلى أن قضى شهيداً، إثر نوبة قلبية في مستشفى سجن الرملة، وما هو بمستشفى، بل الداخل إليه إن كان معافى يمرض، فما بالك بالمريض. وهذا ما حصل مع الحاج أبو هدوان، ذهب إلى المستشفى ومعه ضيق في التنفس، رحمه الله، وهو محبوب ومرح وصاحب نكتة، وكان يحب زوجته أم حسن حباً عجيباً، ويكتب فيها الأشعار. وإذا ما التقى مع سلطان العجلوني في المستشفى، يقول له: لو عصرتك يا سلطان، لأخرجت منك أرطالاً من "المكر". والحبيب المجاهد سلطان دخل دورية، وهو في السادسة عشرة من عمره، من الأردن إلى فلسطين، وقتل بمسدسه جندياً إسرائيلياً في خندقه، وأخذ بندقيته، وهو يجهل كيفية استعمالها. وأُلقيَ القبض عليه، وأودع السجن ليقضي حكماً مؤبداً، ثمّ يشاء الله أن يخرج في إطار صفقة مع الحكومة الأردنية، ويودع في السجون الأردنية إلى حين، وهو عند كتابة هذه السطور يقدم برنامجاً عن الأسرى على فضائية "القدس"، واستفاد من ظروف السجن، وتعلم في الجامعة العبرية، وحصل على الماجستير في العلوم السياسية.

وقصة الحاج أبو هدوان مع فتح فهي كما وردت في بيان خرج من السجن تحت شعار الآية: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[68] وكان ذلك بتاريخ 1990/5/1، وجاء بعد مقدمة البيان ما يلي:

> وهذه المواقف الجهادية الإسلامية، لم ترق للزمرة الباغية المتسلطة في تنظيم "فتح"، في معتقل نفحة الصحراوي، الذي كنّا نمضي فيه أحكامنا، وأضحى هذا الأمر الشغل الشاغل لهذه الزمرة الظالمة، فبدأت تضيق الخناق حول رقابنا، محاولة بشتى الطرق والوسائل الخسيسة، فتنتنا عن ديننا ومنهاجنا. وكان آخر هذه الممارسات الحاقدة: أن قامت هذه الزمرة المجرمة،

[68] **القرآن الكريم**، سورة البروج، آية 8.

بإخضاع الأخ المجاهد محمد حسن أبو هدوان، الذي يمضي حكماً بالسجن مدى الحياة لأعماله البطولية، إلى عملية حقيرة، بهدف كسر شوكة الإسلام ومجاهديه في معتقل نفحة. وكان هدفهم كذلك، معرفة قيادة وأعضاء العُصبة المؤمنة المجاهدة الصابرة، المقاومة لنهج الاستسلام والذل والعار. وقد استخدمت هذه الزمرة كل الأساليب الخسيسة، مع الأخ المجاهد، وهددوا بقتله وتشويه سمعته واتهامه بالخيانة، إذا لم يعطهم المعلومات الكاملة عن المجموعة الإسلامية في المعتقل، (داخل التنظيم/ فتح). وأمام هذا كلّه، فضل الأخ المجاهد الخروج من بين أنيابهم القذرة، ولم يتحمل ظلم ذوي القربى أدعياء الوطنية والثورية، ولم يكن أمامنا جميعاً سوى خيار واحد، بعد أن استنفدنا كافة الخيارات، ومنها توسيط الفصائل الأخرى الموجودة في المعتقل، كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والتي قامت بدور رائع تُشكر عليه، ولكن للأسف دون جدوى أمام صلف الزمرة المتغطرسة من فتح. وكان الخيار صعباً لكنّه أهون الشرين، ألا وهو الخروج من هذه القرية الظالم أهلها، متضامنين مع الأخ المجاهد محمد حسن أبو هدوان، رافعين رؤوسنا عالياً، مفضلين المواجهة مع أعداء الله الصهاينة، على المواجهة التي تريد الزمرة الحاقدة من فتح جرنا إليها، وكان ذلك يوم السبت 26 رمضان 1410هـ الموافق 21 نيسان/ أبريل 1990م. وقد تضامن معنا في الخروج الإخوة في حركة فتح الانتفاضة (علاء الدين البازيان، ومنذر البازيان، وعصام جندل، وخالد أبو زيد)، ولم تنته معاناتنا، بل بدأت معركتنا مع إدارة السجون المتواطئة، مع هذه الزمرة أو المنفذة لرغبة هذه الزمرة؛ لكونها أكثرية في السجون، فنقلنا إلى زنازين العزل الانفرادي في "سجن بئر السبع"، بشكل استفزازي مهين، من قوات القمع الصهيونية. وبدأنا بإضرابنا ضدّ هذه الظروف السيئة لعدة أيام، حتى نقلنا أخيراً إلى "سجن عسقلان" في 1990/4/29م، ولا زلنا نعاني العزلة في غرفة من غرف أقسامه... العزلة التامة عن إخواننا المناضلين.

يا أبناء شعبنا المسلم المرابط المجاهد: نعاهد الله عز وجل، ونعاهدكم أن نبقى أوفياء لعهودنا وولائنا لله، مجاهدين في سبيله، غايتنا النصر أو الشهادة.

التوقيع: إخوتكم:

1- إبراهيم مصطفى بارود الحكم 27 سنة.

2- سالم سلامة العجرمي الحكم 14 سنة.

3- منذر يوسف النمري الحكم 13 سنة.
4- حسن علي سلمة الحكم مؤبد.
5- محمد حسن أبو هدوان الحكم مؤبد.
6- سفيان عيسى المغربي الحكم 15 سنة.
7- عماد طه النمري الحكم 10 سنوات.
8- هاني بدوي جابر الحكم مؤبد.
9- محمد عبد الحميد الجولاني الحكم 13 سنة.
10- محمود علي عويسات الحكم 12 سنة.
11- خليفة الصغير المبروك الحكم 20 سنة.
12- جهاد عواد أبو جريدة الحكم 9 سنوات.
13- خالد عمر أبو زيد الحكم 7 سنوات.
14- علاء الدين البازيان الحكم مؤبد.
15- عصام داود جندل الحكم مؤبد.
16- بلال شريف السيد الحكم 30 سنة.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[69]

وعودة إلى الحاج أبو حسن هدوان، كان معنا في الغرفة، وكان يعبّ الدخان عبّاً، وهذا بحد ذاته يضر بصحة السليم، فكيف بمن يعاني من ضيق في التنفس؟ رحم الله الحاج، نصحناه لكن دون جدوى. ففي ليلة من الليالي، ونحن نيام والغرفة كبيرة، وفيها 20 رجلاً، وإذا بالحاج عند الساعة الواحدة ليلاً، يدخل إلى دورة المياه ويشعل سيجارة... وهذا ممنوع عليه وعلى غيره، من العاشرة مساءً وحتى السابعة صباحاً. وما إن قدح قداحته وأشعل سيجارته، حتى استيقظت من نومي فذهبت إليه وهو في دورة المياه، وقلت له مع المفاجأة: أطفئها، فأطفأها، رحمه الله.

أنا من أبنائه بحكم السن، لكنني أحبه ويحبني كثيراً، وكان يرددها أنت قائدي. وكنت ألاعبه الشطرنج، ويضيق صدراً إذا أخذت فرصتي في التفكير، أنا أحب أن أستمتع وهو يريد أن يكسرها كسراً، رحمه الله. وكانت أمنيته أن يجتمع بأم الحسن خارج هذه الأسوار الظالمة.

[69] **القرآن الكريم**، سورة يوسف، آية 21.

Sidi ‘Umar: The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance and His 33 Years in the Israeli Jails

هذا الكتاب

يسجل هذا الكتاب ذكريات مسيرة طويلة لشيخ مجاهد، وشخصية إسلامية وطنية، برزت في سبعينيات القرن الماضي كأحد رموز المقاومة من أبناء حركة فتح. ثم أصبحت أحد أبرز مؤسسي الجماعة الإسلامية وحركة حماس في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

في هذا الكتاب، يشرح الشيخ محمد أبو طير تجربة 33 عاماً في سجون الاحتلال، ومواقفه ومواقف الحركة الأسيرة من القضايا الوطنية وهموم الأمة المختلفة. ويسجّل جزءاً مهماً من تاريخ الأسرى في سجون الاحتلال، وخصوصاً أسرى حماس، وما رافق ذلك من معاناة في السجون ومواجهات مع السجّانين. كما يتعرض لعلاقات أسرى حماس بالأسرى من باقي الفصائل الفلسطينية، وما رافق ذلك من حالات تعاون أو شدٍّ واحتكاك.

وتبرز في هذه الذكريات جوانب من تجارب العمل العسكري المقاوم الذي خاضه أبو طير من خلال فتح، ثم على مدى زمني أوسع من خلال حماس. بالإضافة إلى تجربته في العمل السياسي، وانتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية.

ويسر مركز الزيتونة طباعة هذا الكتاب الذي يخط شهادة وحكاية الشيخ أبي طير، شيخ بيت المقدس، الذي عُرف بين إخوانه بـ"سيدي عمر"؛ ليكون أحد أهم ما صدر من كتب في تجربة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ISBN 978-9953-500-62-1
9 789953 500621

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت